Al-Qasemi Journal of Islamic Studies, **vol. 1, no. 1 (2016), 85-138**

The Muslim-Christian dialogue through the Arab Christian writings in Palestine in the first centuries of the Islamic conquest

Bishara Ebeid

Abstract

With the conquest of Palestine by the Muslim Arabs (637/638) the whole area started a new age: all, Christians, Jews and Muslims lived under the Islamic rule. The most important element of this period was the adoption of the Arabic language by the Christians, as a new *lingua franca*. Arabic, slowly became the ecclesiastical, liturgical, theological and cultural language after having been used for years as the daily language. The monks translated into Arabic the ancient Greek treasures of philosophy and science and for that reason some ancient works survived up to date. In addition, Christian theologians felt necessary to write apologetic and theological works in Arabic to explain for the new religion's followers, i.e. the Muslims, what does it mean to believe in the Trinitarian God and the incarnated Word and Son of God.

In this article I will show how the Muslim-Christian dialogue was realized. It will be made through an examination of the first three apologetic works of the Melkite school of Palestine: 1) "On the Trinitarian nature of God", 2) "The dialogue between *Abū Qurrah* and the Caliph *al-Ma'mūn*", and 3) "The dialogue between the Monk *Ibrāhīm* of Tiberias and the Emir *'Abd ar-Raḥmān al-Hāšimī*". The objective of this article is to show: 1) How important is to have an honest dialogue between Muslims and Christians; 2) The necessity to know the other's Scriptures and faith as it is expressed and explained; 3) To respect him even if he was opposed to the personal believe; and 4) How the Arab Christian heritage could be a key and instrument to build a good Muslim-Christian dialogue in an academic level today.

الحوار الإسلامي المسيحي من خلال الكتابات العربية لمسيحيي فلسطين خلال القرون الأولى للفتح الإسلامي

بشارة شحادة عبيد

مع الفتح العربي لفلسطين، وتسليم مفاتيح بيت المقدس من بطريرك المدينة المقدسة صفرونيوس إلى الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب سنة 638/637 ميلادي، دخلت المنطقة وسكانها، من مسيحيين ويهود وغيرهم، إلى حقبة تاريخية جديدة، فأصبحت تحت حكم الإسلام والمسلمين.[1] تميزت هذه الحقبة بعنصر أساسي وهو استخدام المسيحيين اللغة العربية لغةً رسميةً في كلّ المجالات الحياتيّة كالعلم والفلسفة، الحياة الكنسيّة الطقسيّة، التجارة، الحياة اليوميّة وغيره.[2] مسيحيّو فلسطين كانوا أول المسيحيين المستخدمين للغة العربية، الجديدة عليهم، في حياتهم اليومية، والكنسيّة، وكانوا من أولئك اللين نقلوا إليها أيضًا الكثير من الكنوز العلميّة والفلسفيّة من لغاتهم القديمة: كاليونانية والسريانية، إلى العربية، فأغنوا الحضارة والثقافة العربية، وجعلوا المسلمين شركاء وورثاء لهذه الحضارة العريقة.[3] بالإضافة لحركة الترجمة هذه، نذكر أعمالهم

* بروفيسور مضاف، المعهد الحبري للدراسات الشرقية، روما
بروفيسور زائر، المعهد الحبري للدراسات العربية والاسلامية، روما
بروفيسور زائر، جامعة الغريغوريانا، روما

[1] حول فتح القدس، انظر:
R. SCHICK, "The Islamic Conquest: the Mid-630s to 640" in *The Christian Communities of Palestine from Byzantine to Islamic Rule. A Historical and Archeological Study* (Studies in Late Antiquity and Early Islam), Princeton 1995, pp. 68-84; J. DE HAAS, *History of Palestine. The Last Two Thousand Years*, New York 1934, pp. 122-150; M. ABU MUNSHAR, *Islamic Jerusalem and its Christians. A History of Tolerance and Tensions*, London – New York 2007, pp. 55-118.

[2] انظر:
S. GRIFFITH, *The Church in the Shadow of the Mosque. Christians and Muslims in the World of Islam*, Princeton – Oxford 2008, pp. 45-74.

[3] عن دور مسيحي فلسطين واستخدامهم للعربية، انظر:

المختلفة المكتوبة مباشرة بالعربية، أهمها تلك الأعمال التي حاوروا بها المتكلمين المسلمين من مختلف المدارس الفلسفية والمذاهب، مناقشين إياهم الاختلافات بين الدينين، بمستوى علمي وفلسفي يعبّر عن نضوج الوعي والفكر لدى المشاركين في هكذا الحوارات.[4] استخدمت باللغة العربية كذلك في كتابة أعمال لاهوتية مسيحيّة، تعتبر بعلم اللاهوت من أهم ما كُتب في اللاهوت المسيحي المشرقي فقد وضّحت كلّ طائفة من الطّوائف المسيحيّة المشرقيّة، من خلالها، هويّتها التي تميزها لاهوتيًّا وعقائديًّا عن باقي الطوائف والكنائس المسيحيّة في الشرق.[5]

سأتكلم، في مقالتي هذه، عن الحوار المسيحي-الإسلامي من خلال أول أعمال حوارية كتبها مسيحيّو فلسطين باللغة العربية. سأقف عند بعض النقاط المهمة لكيفيّة الحوار. من الممكن أن تثير بعض النقاط التي سأعرضها من الكتابات العربية المسيحية تحفظات البعض منّا، باعتبارها تتعرض للكثير من المواضيع الدينية والاختلافات الجذرية بين الإسلام والمسيحية، لذلك اسمحوا لي من البداية، أن أنوّه أنّ الهدف من هذه المقالة ليس إظهار صدق الأعمال المسيحية ونجاح حجج طرف ضد الطرف الآخر، وليس الهدف أن أقنع المسلم، كوني أنا مسيحي مشرقي، بأنّ المسيحيّة على حق. إنّما الهدف من مقالي هذا التشديد على أهمية الحوار الصادق، وكيف يمكن لنصوص كتبت في

S. GRIFFITH, "The Church of Jerusalem and the 'Melkites': The Making of an 'Arab Orthodox' Christian Identity in the World of Islam (750-1050 CE)" in O. LIMOR – G. G. STROUMSA, eds., *Christians and Christianity in the Holy Land. From the Origins to the Latin Kingdoms*, Turnhout 2006, pp. 173-202 here pp. 186-191.

عن دور المسحيين بشكل عام وعن نقل العلوم والفلسفة إلى العربية انظر: سمير خليل سمير، *دور المسيحيين الثقافي في العالم العربي*، جزء 1، بيروت 2004، ص. 27- 31.

أهم مركز ثقافي وحضاري كان من تأسيس هارون الرشيد والذي دعي بيت الحكمة، انظر:
J. LYONS, *The House of Wisdom. How the Arabs Transformed Western Civilization*, New York 2009.

عن التراث المشترك ودور المسيحيين في تلمذة أهم علماء الإسلام كالفارابي وابن سينا وغيرهم انظر:
سمير خليل سمير، *دور المسيحيين الثقافي في العالم العربي*، جزء 1، بيروت 2004، ص. 31- 42.
S. GRIFFITH, *The Church in the Shadow of the Mosque*, pp. 106-128

[4] انظر: S. GRIFFITH, *The Church in the Shadow of the Mosque*, pp. 75-105

[5] انظر: S. GRIFFITH, *The Church in the Shadow of the Mosque*, pp. 129-140.

القرون الأولى للفتح الإسلامي أن تكون لنا، مسلمين ومسيحيين، مراجع مهمة نستلهم منها كيف نبني حوارًا بنّاءًا بين الدينين، في وقت غاب به الحوار، الاحترام والحب للآخر ونشط الكره والحقد وسفك الدماء.

الحوار الإسلامي-المسيحي من خلال أول اعمال حوارية كتبها مسيحيو فلسطين:

1. **في تثليث الله الواحد**

سنة 1899 مارجاريت جيبسون (Margaret Dunlop Gibson) نشرت أحد الأعمال العربية المسيحية الدفاعية الذي وجدته في مخطوطٍ في دير القديسة كاترينا في صحراء سيناء.[6] يعود المخطوط إلى نهاية القرن الثامن ميلادي أو بدايات التاسع، وهو مرقم تحت العنوان: (Sinai Arabic Ms 154)[7]. عنونت الباحثة العمل: "في تثليث الله الواحد"[8]. بالرغم من أنّ هذا العنوان يناسب الجزء الأول من العمل إلا أنه ما زال يعرّف به، حتى يومنا هذا، بين الباحثين والمتخصصين.

---

[6] العمل نشر في:

M. GIBSON, ed., *An Arabic version of the Acts of the Apostles and the seven Catholic Epistles from an eighth or ninth century ms. in the Convent of St Katherine on Mount Sinai, with a treatise On the Triune nature of God with translation, from the same codex*, London, 1899, (English translation) pp. 2-36, (Arabic text) pp. 74-107.

من الآن فصاعدًا سنعبر عن النص بـ: *Fī Taṯlīṯ al-Lāh al-Wāḥid*

[7] لمعلومات إضافية، انظر:

M. SWANSON, "Fī Tathlīth Allāh al-wāḥid" in D. THOMAS and B. ROGGEMA, eds., *Christian-Muslim Relations. A Bibliographical History*, vol. 1 *(600-900)*, Leiden-Boston 2009, pp. 330-333; M. SWANSON, "Some considerations for the dating of Fī Tathlīth Allah al-wāḥid (Sinai ar. 154) and al-Ǧāmiʿ wuǧūh al-īmān (London British Library or. 4950)" in *Pd'O* 18(1993), pp. 115-141, here p. 117.

[8] انظر:

M. SWANSON, "Beyond prooftexting (2): The use of the Bible in some early Arabic Christian apologies" in D. THOMAS, ed., *The Bible in Arab Christianity*, Leiden 2007, pp. 91-112, here, p. 92.

جيبسون لم تتمكن من قراءة عدة أماكن في المخطوط، لهذا قام الباحث، الأب اليسوعي سمير خليل سمير بإعادة النظر بالعمل المنشور وتمكّن من إصلاح بعض الأخطاء في قراءة جيبسون للمخطوط، واستطاع ايضًا قراءة بعض تلك الأماكن التي لم تتمكن الباحثة من قراءتها. بالإضافة إلى ذلك، لاحظ سمير وجود بعض الاقتباسات لهذا العمل الدفاعي في مخطوط آخر في المكتبة الوطنية في باريس رقمه (Ms no. 6725). حتى اليوم نحن ننتظر من الأب سمير نشر العمل من جديد لنتمكن من إيضاح الصورة حوله، وحول فحواه وخاتمته. بالرغم من هذا التأخير، قام الأب سمير من خلال مقالتين بإلقاء الضوء على بعض التصحيحات التي كان قد طبّقها على نص جيبسون، ونشر بعض تلك الأماكن التي كانت غير مقروءة من قِبَل الباحثة.[9]

من أهم الأمور التي استطاع سمير قراءتها هي الجملة التالية: «ولو لم يكن هذا الدين حقًّا من الله لم يثبت ولم يقم منذ سبع مئة سنة وست وأربعين سنة»[10]. إن هذه الجملة ساعدت الباحثين أن يحددوا تاريخ كتابة هذا العمل. بالرغم من أنه لا يوجد اتفاق بينهم حول تاريخ محدد وثابت،[11] إلا أننا نستطيع أن نجزم أنّ العمل هو أول عمل دفاعي مسيحي مكتوب باللغة العربية نعرفه اليوم ويعود تأليفه إلى نهاية فترة الخلافة الأموية، أي إلى نهايات القرن الثامن الميلادي.[12]

من المعلوم أنّ راهبًا مدعوًّا باسم موسى السينائي نسخ المخطوط (Sinai Arabic Ms 154)[13]، لكن الناسخ، للأسف، لم يذكر اسم مؤلّف العمل الدفاعي "في تثليث الله الواحد" الذي يبقى حتى يومنا

---

[9] لمعلومات اخرى حول هذا الموضوع ورأي سمير خليل سمير، انظر:
S. Kh. SAMIR, "The earliest Arab apology for Christianity (c. 750)" in S. Kh. SAMIR - J. NIELSEN, eds., *Christian Arabic apologetics during the Abbasid period (750-1258)*, Leiden 1994, pp. 57-60.

[10] النص مقتبس من: S. Kh. SAMIR, "The earliest Arab apology", pp. 61-62.

[11] المسألة الأكثر جدالًا بين الباحثين هي أي يوم، وفقا لرأي المؤلف، يمكن اعتباره تأسيس الدين المسيحي: ميلاد المسيح أم صلبه وقيامته والعنصرة؟ لأنّ الفرق بينهما ثلاثون سنة! إضافة إلى ذلك، تطرح مسألة أخرى للنقاش، هي الفرق بين التقويم اليولياني والغريغوري، وعلاقتهما بالتقويم اليوناني (الإسكندر الكبير) واليهودي. إنّ كلّ ذلك يؤثر في تحديد السنة التي يتكلم عنها المؤلف المجهول بدقة.

[12] للاِطلاع على الآراء المختلفة للباحثين حول تاريخ كتابة النص انظر:
M. SWANSON, "Some considerations", pp. 118-141.

[13] انظر: M. SWANSON, "Some considerations", p. 117.

هذا مجهولًا. المختصون، وبالرغم من جهل اسم المؤلف، استطاعوا أن يؤكدوا أنّ العمل قد كُتِب من مؤلف واحد[14] ينتمي إلى الطائفة الملكِيّة (أي الروم الاورثوذكس)، وأنّه كان راهبًا في منطقة اليهودية أو سيناء.[15] لغته العربية تُأكِّد أنه من سكان فلسطين الذين تكلموا الآرامية، لأنّ العمل مليء بتأثير آرامي-سرياني على اللغة العربية المستعملة.[16] بالفعل، لغة العمل تنتمي إلى اللغة المدعوة من الباحث بلاو (Joshua Blau) "العربية القديمة لجنوب فلسطين"، وهي لغة الأعمال المسيحية لسكان جنوب فلسطين من اليهودية إلى منطقة سيناء.[17] إنّه عمل مسيحي دفاعي (Apology)[18] مكتوب بالعربية المحكية[19] في جنوب فلسطين. رغم بساطة العمل يظهر أنّ المؤلف عالمٌ بتراث كنيسته والكتاب المقدس[20]، ملمٌّ بالقرآن والتراث الإسلامي[21] الذي يحاوره بشكل ملفت للنظر. هذا يظهر بوضوح من خلال الصلاة الافتتاحية، أو الدعاء الافتتاحي للعمل:

> «... **نسلك اللهم** برحمتك وقدرتك أن تجعلنا ممن يعرف حقك ويتبع رضاك ويتجنب سخطك ويسبح **باسمايك الحسنات** بامثالك العليا. **أنت الراحم الرحمن الجالس على العرش** استويت، وعلى الخلايق عليت وكل شيء مليت تخير ولا تخار عليك. **تقضي ولا**

---

[14] انظر: S. K. SAMIR, “The earliest Arab apology”, pp. 60-61.

[15] انظر: S. GRIFFITH, *The church in the Shadow of the Mosque*, p. 57.

[16] انظر مثلًا رأي سمير خليل سمير: S. Kh. SAMIR, “The earliest Arab apology”, 107.

[17] عمل الباحث بلاو مكون من جزأين، في الجزء الأول صفحة 22 بلاو يأكد أنه أخذ عملنا هذا بعين الاعتبار ببحثه كمثال للّغة العربية لجنوب فلسطين، انظر:
J. BLAU, *A Grammar of Christian Arabic. Based mainly on South-Palestinian Texts from the First Millennium Fasc. Introduction-Orthography & Phonetics-Morphology* (CSCO 267 / Subs. 27), Louvain 1966, p. 22.

[18] انظر: M. Swanson, "Beyond prooftexting", p. 92

[19] انظر: S. Kh. SAMIR, “The earliest Arab apology”, p. 65, 107-108.

[20] انظر:
D. BERTAINA, “The development of testimony collections in early Christian apologetics with Islam”, in D. THOMAS, ed., *The Bible in Arab Christianity*, Leiden 2007, pp. 151-173, here p. 163.

[21] انظر: M. SWANSON, “Fī Tathlīth”, pp. 330-331.

يقضى عليك. تستغني عنا ونفتقر اليك، قريب لمن دنى منك **مجيب لمن دعاك** وتضرع اليك. فأنت اللهم **ربّ كلّ شي** وإله كلّ شي **فخالق** كلّ شي، افتح أفواهنا وانشر ألسنتنا وليّن قلوبنا واسرح صدورنا لتسبيح اسمك **الكريم العلى العظيم المبارك المقدس فإنه لا إله قبلك ولا إله بعدك**، إليك المصير **وأنت على كلّ شي قدير**.»[22]

من هذه الصلاة لا يستطيع القارئ أن يميز إذا كان المؤلف مسيحيًا أو مسلمًا، على العكس، المؤلف يستخدم مصطلحات قرآنية وإسلامية بشكل ملفت للنظر:

جمل من النص	أمثلة من آيات قرآنية
أنت الراحم الرحمن	بسم الله الرحمن الرحيم[23]
الجالس على العرش استويت	"هو الذي خلق السماوات والارض في ستة أيام **ثم استوى على العرش** يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير"[24]
إليك المصير وأنت على كلّ شي قدير	"إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير"[25]

بالإضافة إلى ذلك نلاحظ استخدام رائع لأسماء الله الحسنى، التي يدعوها كاتبنا "أسماؤك الحسنات"، ويذكرها بطريقة مميزة إما بذكر الاسم مباشرة أو بالتعبير عنه بطريقة شعرية وغير مباشرة:

الأسماء من النص	الأسماء في التقليد الإسلامي
الراحم الرحمن	الرحمن الرحيم
على كل شيء قدير	القادر، المقتدر
على الخلايق عليت	المتعال
تقضي ولا يقضى عليك	القابض الباسط،

[22] النص مقتبس من: *Fī Taṯlīṯ al-Lāh al-Wāḥid*, p. 74.

[23] انظر سورة الفاتحة آية 1.

[24] انظر سورة الحديد آية 4.

[25] انظر سورة هود آية 4.

مجيب لمن دعاك وتضرع اليك	المجيب، السميع
الكريم	الكريم
العلي	العليّ
العظيم	العظيم
المقدس	القدوس

من الواضح إذًا أنّ المسيحيين، ككاتبنا، ملمّون بالتراث الاسلامي، يستخدمونه في كتاباتهم الأولى، يتبنونه كلغة مشتركة وكتراث إلهي واحد. إن ذلك ظاهر، واضح وبيّن في نصّ العمل الدفاعي، ليس فقط في الفقرة المقتبسة أعلاه، بل بالنص بأكمله، كما سنرى بعد قليل. يظهر من النص أعلاه أنّ كاتبنا عالم بتعاليم الدين الجديد، بلغته وبكتابه المقدس. كما سنرى، إنه محاور للإسلام بطريقته الخاصّة، مدافع عن إيمانه إذ يجيب على الأسئلة التالية: كيف يكون الله واحدا وثالوثا؟ ما هي بُنُوَّة المسيح، وكيف له أن يكون ذي طبيعتين: إلهية وإنسانية؟ هل القرآن كتاب موحى به من الله؟ إنّ هذه الأسئلة تطرح، حتى يومنا هذا، من المسلمين على المسيحيين، في أي لقاء وحوار يجمعهم معًا. سنعرض إذًا كيف يجيب كاتبنا المجهول على هكذا أسئلة.

- **سر الثالوث المسيحي والرفض الإسلامي:**

إنّ القرآن الكريم يرفض رفضًا قاطعًا تعليم المسيحيين بأنّ الله ثلاثة أقانيم، متهمًا إياهم بأنّهم يعبدون ثلاثة آلهة.[26] منذ التقاء الإسلام بالمسيحية بدأ المسيحيون البحث عن طرق جديدة/قديمة ليستطيعوا من خلالها شرح عقيدة الثالوث للمسلمين، وكيف أن التعليم بشأن الثالوث لا يلغي وحدانية الإله. قولنا قديمة، نعني بذلك العودة إلى التراث الآبائي الدفاعي الذي نشأ وتطور خلال القرون المسيحية الأولى، حيث دافع المسيحيون عن إيمانهم بالثالوث أمام اتهامات اليهود لهم بأنّهم عبدة ثلاثة آلهة وليسوا عبدة الله الواحد، إله موسى والأنبياء.[27] أما قولنا بالطرق الجديدة، فنعني

[26] انظر سورة المائدة آية 73. سنبيّن لاحقًا أنه من الممكن أن تكون هذه الآية ضد فئة من أهل الكتاب الذين حوّلوا الثالوث لثلاثية، أي أنها لا تنتقد أو ترفض التعليم بشأن الثلاثة أقانيم، لكن هذا يبقى رأي لبعض الباحثين لا يمكن تأكيده ببراهين كثيرة.

[27] عن اللاهوت الدفاعي المسيحي في القرون الأولى، انظر:

أسلوب الكاتب في الشرح البسيط للعقيدة، دون استخدام مصطلحات فلسفية كطبيعة، أقنوم، جوهر وجه أو شخص وما إلى ذلك من مصطلحات، وإرتكازه على الأمثلة من الطبيعة، وعلى الفلسفة الوجدانية العقلية، تراث مشترك بينه وبين المسلمين. إضافة إلى براهين كتابية، أي، اقتباسات من التوراة والإنجيل والقرآن لتأكيد وبرهان تعليمه وايمانه. سنقوم بعرض بعض النصوص وتقديم تحليل مختصر لها لنفهم كيفيّة الحوار لدى كاتبنا المجهول:

«ولك الحمد **اللهم خالق** السماوات والارض وما فيهما **بكلمتك وروحك**. ولك الحمد اللهم ساكن النور وخالق الملايكة والروح ليسبحوا اسمك. اسمك المقدس. ولرسالة اسمك ولسلطان قدرتك. فهم لا يفترون من تعظيمك وتقديسك. قايلين **قدوس قدوس قدوس الرب العزيز الذي امتلئت السموات والارض من كرامته. وانما يسبحون ثلث ويختمون برب واحد**. ليعلم الناس أن الملايكة يسبحون **لله وكلمته وروحه، إله واحد ورب واحد، فلك نعبد ربنا والاهنا، بكلمتك وروحك. وأنت اللهم بكلمتك خلقت** السماوات والارض وما فيهما. **وبروح القدس احييت** جنود الملايكة **فنحن نحمدك اللهم ونسبحك ونمجدك بكلمتك الخالقة وبروحك المقدس المحي. اله واحد ورب واحد وخالق واحد. لا نفرق الله من كلمته وروحه. ولا نعبد مع الله بكلمته وروحه إله آخر**. وقد بين الله امره ونوره في **التوراة والانبيا والزبور والانجيل**، ان الله وكلمته وروحه إله واحد ورب واحد.»[28]

النص الأول الذي اخترناه يعالج عقيدة الثالوث بطريقة كتابية. المسيحية تؤمن أن الله الخالق له كلمته وروحه (الله-الكلمة-الروح = الآب – الابن – الروح). التسبيح الملائكي الذي سمعه أشعياء

M. PELLEGRINO, *Gli apologeti greci del II secolo. Saggio sui rapporti fra il cristianesimo primitivo e la cultura classica*, Roma 1947;

عن تجديد هذا اللاهوت مع التراث العربي المسيحي، انظر:

S. KEATING, Defending the 'People of Truth' in the Early Islamic Period. The Christian Apologies of *Abū Rā'iṭah (History of Christian-Muslim Relations 4), Leiden-Boston 2006*, pp. 3-12

[28] النص مقتبس من: *Fī Taṯlīṯ al-Lāh al-Wāḥid*, pp. 74-75.

النبي[29] هو برهان ثالوثية الله الواحد، حسب رأي الكاتب الذي يتبع بذلك تقليد آباء الكنسية[30]. إنّ الملائكة يسبحون الله بكلمة "قدّوس" ثلاث مرات، إشارة للثالوث، ويختمون التسبحة بذكر وحدانية الله.

الله خالق ويخلق بكلمته، وهو محيي ويحيي بروحه. إنّ هذه الفكرة ستتطور في الحوار بين المسيحيين والمسلمين عندما ينحو الحوار منحى فلسفيًا أعلى ويبدأ المتحاورون نقاش مسألة خواص الله، أبدية هي أم لا: إذا كان الله حيًّا ومتكلمًا (ناطقًا) منذ الأزل، هل خاصّتا النطق والحياة أزليّتان أيضًا.[31] الله إذًا، لمؤلفنا المجهول، هو واحد بكلمته وبروحه والمسيحيون لا يعبدون إلهًا آخرًا معه. بهذا التعبير يدافع كاتبنا عن اتهامات القرآن لبعض المسيحيين، أو الأفضل أن نقول، لفرقة من فرق أهل الكتاب،[32] حيث يدعوهم مشركين أو كفارًا كما في الآيات التالية:

"إن الذين كفروا **من** أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية"[33]

---

[29] انظر سفر أشعياء، الإصحاح 6، الآية 3.

[30] انظر:

D. STEINMETZ, "John Calvin on Isaiah 6: A Problem in the History of Exegesis" in J. MAYS – P. ACHTEMEIER, eds., *Interpreting the Prophets*, Philadelphia 1987, pp. 86-99, here pp.92-95; P. PHAN, ed., *The Cambridge Companion to the Trinity*, Cambridge 2011, p. 3.

[31] لمزيد من المعلومات وشرح عقيدة الثالوث، من قبل المسيحيين، من خلال فكرة أن الله حي وناطق (متكلم) وكيف أن الحياة والنطق صفات ابدية أزلية به ولا تعني أبدًا إشراك، انظر:

R. HADDAD, *La Trinité divine chez les théologiens arabes 750-1050* (Beauchesne Religions 15), Paris 1985, pp. 115-127, 187-245.

أما عن هذا الموضوع بين اللاهوتيين المسيحيين والمتكلمين المسلمين انظر:

H. A. WOLFSON, *The Philosophy of the Kalam*, Cambridge-Massachusetts-London 1976, pp. 112-234.

[32] عن اهل الكتاب في القرآن الكريم، انظر:

G. VAJDA, "Ahl al-Kitāb" in *Encyclopedia of Islam*, vol. I, pp. 264-266.

بينما عن النصارى (المسيحيين) في القرآن والتقليد الإسلامي وعلاقتهم بهكذا آيات، انظر أيضًا:

J. M. Fiey, "al-Naṣārā" in *Encyclopedia of Islam*, vol. VII, pp. 970-973.

[33] سورة البينة آية 6.

"قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون"[34].

فلنعد للنص المقتبس أعلاه. نلاحظ أن الله، حسب رأي كاتبنا، قد أظهر ثالوثيته في الكتب المقدسة، التوراة والأنبياء والمزامير (العهد القديم) والإنجيل (العهد الجديد). فماذا عن القرآن، هل الكاتب يرفض، من وجهة نظره، قدسيته ووحيه الإلهي؟ على هذا السؤال سنجيب لاحقًا، الآن سنرى دور الطبيعة والفلسفة العقلية في برهان ثالوثية الله الواحد:

> «ولسنا نقول **ثلثة الاهة** [معاذ] الله، ولاكنا نقول إنّ **الله وكلمته وروحه إله واحد وخالق واحد**. وذلك مثل: طبقة الشمس التي في السما والشعاع الذي تخرج من الشمس، والسخونة التي تكون من الشمس، بعضها من بعض لا نقول هي ثلثة الشمس، ولاكن شمس واحدة وها اسما ثلثة ليس يفترق بعضهم من بعض ... [وكمثل] الانسان وعقله والكلمة التي تولد من عقله بعضها من بعض، والروح في العقل والكلمة من العقل وبعضه من بعض. لا نفرق بينهم وكل واحد من الاخر يبدو ويعرف.»[35]

بداية هذه الفقرة تشديد من الكاتب على أنّ الثالوث ليس ثلاثة آلهة، إنّ هذا التشديد يأتي كرد على الآية القرآنية:

"لقد كفر الذين قالوا إنّ الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم"[36].

الآية المقتبسة أعلاه لا تحدّد من هم الكافرون، وما المقصود بثالث ثلاثة، لكن الآيات التي تسبقها والتي تتبعها[37] توضح أنّ الكافرين هم أتباع المسيح الذين يعتبرونه إله.[38] البعض من المفكرين

---

[34] سورة آل عمران آية 64.

[35] النص مقتبس من: *Fī Taṯlīṯ al-Lāh al-Wāḥid*, pp. 75-76.

[36] انظر سورة المائدة آية 73.

إن الآية 72 تأكد أن الذين يقولون "ثالث ثلاثة" هم الذين يعتبرون المسيح الله.

[37] انظر سورة المائدة آيات 72-77.

[38] انظر ايضًا:

المسلمين والباحثين المعاصرين يعتقدون أنّ الآيات القرآنية التي ترفض فكرة الثلاثة آلهة وتندد بأنّ بعض أهل الكتاب يؤمنون بها، هي عبارة عن آيات ضد التعليم بشأن "ثلاثية آلهة" وليس ثالوث إلهي واحد[39]. إنّ هكذا رأي لا زال قيد النقاش ونحن لسنا ههنا لندخل في تفاصل أكثر. لإثبات، إذًا، أنّ الله وكلمته وروحه إله واحد وليس ثلاثة آلهة الكاتب في نصنا يلجأ إلى ما نسميه الأمثلة والتشابيه الطبيعية، أي المأخوذة من الطبيعة. المثال الذي اخترناه من كاتبنا هو تشبيه الشمس: الشمس بشعاعها وسخونتها (حرارتها) هي شمس واحدة. أن تميز بين قرص الشمس والشعاع والسخونة ممكن باعتبار كلّ واحد منها مختلف منفرد بخصوصيّته، لذلك لكل منها اسمه الخاص، لكن في الوقت نفسه لا تستطيع الفصل بين قرص الشمس والشعاع والسخونة، فهي شمس واحدة وتدعى بالاسم العام شمس. الأمر ذاته يستخدمه الكاتب مع عدة أمثلة من الطبيعة[40] ليُري أنّ الثالوثية لا تتناقد مع الوحدانية، لأنّ الثالوثية هي تمييز وليس فصل، أي أنّ الله بكلمته وروحه واحد بالرغم من أنّ الكلمة لها ميزتها الخاصة التي تفرقها عن الروح وهكذا.

المثال الثاني الذي نجده في الاقتباس أعلاه له الهدف نفسه، نحن بصدد تشبيه العقل[41]: العقل يولّد الكلمة، والروح (النفس) في العقل والكلمة. إنّها ثلاثة أمور مختلفة متميزة، لكنّها متحدة بوحدانية العقل البشري.

D. THOMAS - B. ROGGEMA, eds., *Christian-Muslim Relations: A Bibliographical History*, vol. 1 *(600-900)* (The History of Christian-Muslim Relations 11), Leiden-Boston 2009, pp. 23-24.

[39] انظر: فادي ضو و نايلا طبّارة، *الرحابة الإلهيّة. لاهوت الآخر في المسيحية والإسلام*، جونية 2011، ص. 149-151.

[40] عن التشابيه المستعملة في نصنا، انظر:
S. K. SAMIR, "The earliest Arab apology", pp. 70-72.

[41] العقل كتشبيه استخدم في التعليم الآبائي لشرح عقيدة الثالوث له أهمية ومكانة خاصة، في التراث العربي المسيحي هذا التشبيه يلعب دورًا أساسيًا في الحوار الاسلامي المسيحي، انظر:
R. HADDAD, *La Trinité divine*, pp. 124-127.

هذه الأمثلة الطبيعية تساعد الكاتب على إثبات أنّ المراد من قول المسيحيين بأن لله ابن، ليس هو بمعنى البنوة حسب الفكر الماديّ الناتج عن الولادة الطبيعية الحيوانية. وهنا أيضًا نرى محاولة من الكاتب للإجابة على تساؤلات المسلمين التي تنبع من بعض الآيات القرآنية مثل:

"وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا"[42] فكاتبنا يجيب هكذا:

> «ولسنا نقول إنّ الله ولد كلمته كما يلد أحد من الناس، معاذ الله، ولاكنا نقول إنّ الاب ولد كلمته كما تلد الشمس الشعاع وكما يلد العقل الكلمة، وكما تلد النار السخونة، لم يكن شي من هاولا قبل الذي ولد منه.»[43]

إذًا إنّ سر الثالوث لهو أبعد من أن يفهم بالتصور البشري. المسيحية استعانت بالفلسفة اليونانية لتفسر هذه العقيدة. كاتبنا، مدرك أنّ قرّاءه المسلمين لم يتعرفوا بعد على هذا الأسلوب من الشرح، أي أنهم لا يعلمون حتى ذلك الوقت ما معنى طبيعة، أقنوم أو جوهر، استخدم البرهان الفلسفي البسيط والتشبيه الطبيعي: الولادة عند الإله ليست كالولادة عند البشر، بل هي أشبه بالتولد. فكما يتولد الشعاع من قرص الشمس، أو الكلمة من العقل، كذلك تتولد الكلمة من الله، ولذلك تدعى ابنًا. بهذه الطريقة نجح بأنّ يبعد اللاهوت المسيحي عن أي فكرة مادية (materialism) أو صورية (anthropomorfism)[44].

كما ذكر كاتبنا أعلاه الكتب المقدسة الموحى بها من الله تُظهر سر الثالوث. لنعطي مثالًا واحدًا، وهو تقليدي في التعليم المسيحي وقد استخدمه مؤلفنا أيضًا، نعني صيغة الجمع التي تستخدمها التوراة لله، بالذات عندما يكون هو المخاطِب، أي أنه يستعمل صيغة "نحن" لا "أنا"[45]:

---

[42] سورة الاسراء الآية 111.

[43] النص مقتبس من: *Fī Taṯlīṯ al-Lāh al-Wāḥid*, p. 77.

[44] عن هذين الفكرين في الحوار الاسلامي المسيحي، انظر المقدمة في:
B. ABRAHAMOV, ed & tran., *Anthropomorphism & Interpretation of the Qur'ān in the theology of al-Qāsim ibn Ibrāhīm. Kitāb al-Mustarshid*, Leiden-New York- Köln 1996.

[45] عن الجمع كدليل للثالوث عند آباء الكنيسة، انظر:
Ch. KANNENGIESSER, *Handbook of Patristic Exegesis*, vol. I: *The Bible in Ancient Christianity*, Leiden – Boston 2004, p. 612.

«وكذلك قال الله في التوراة "**نخلق** الانسان **على شبهنا وتمثالنا**"، ولم يقل الله تبارك اسمه "**اني خلقت الانسان**"، ولاكنه قال "انا **خلقنا** الانسان"، ليعلم الناس أنّ الله بكلمته وروحه خلق كلّ شيء واحيا كلّ شيء وهو الخلاق العليم.»[46]

كنا قد تساءلنا سابقًا عن رأي المؤلف بالقرآن، أموحى به من الله أم لا، لنقرأ الاقتباس التالي، لنستطيع أن نخوض في هذه المسألة:

«**وتجدونه في القرآن** "**انا خلقنا** الانسان في كبد" و"**انا فتحنا** ابواب السما بما منهمر". قال "**تاتونا** فرادى كما **خلقناكم** اول مرة". وقال "**آمنوا بالله وكلمته**". وايضًا في روح القدس، "**بل تنزله روح القدس من ربك رحمة وهدى**". **فماذا ابين من هذه وانور حين نجد في التوراة والانبيا والزبور والانجيل. وأنتم تجدونه في القرآن أن الله وكلمته وروحه اله واحد ورب واحد**. وقد أمرتم ام تؤمنوا بالله وكلمته وروح القدس فلم تعيبوا علينا ايها الناس ان نؤمن بالله وكلمته وروحه ونعبد الله بكلمته وروحه، إله واحد ورب واحد وخالق واحد. والله قد **بين في الكتب كلها** ان الامر على ذلك في الهدى ودين الحق، فمن خالف على هذا فليس على شي.»[47]

إنّ هذه الفقرة لهي في غاية الأهمية. أولًا نلاحظ أنّ كاتبنا يقتبس آيات قرآنية، بشكل كامل أو جزئي، مما يدل على أنّه قد قرأ القرآن وأن أمامه نسخة منه:

الآيات كما في النص	الآيات كما في القرآن الكريم
إنّا خلقنا الانسان في كبد	لقد **خلقنا الانسان في كبد**[48]
إنّا فتحنا أبواب السما بما منهمر	**ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر**[49]
تاتونا فرادى كما خلقناكم أول مرة	ولقد جئتمونا **فرادى كما خلقناكم أول مرة** وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين

[46] النص مقتبس من: *Fī Taṯlīṯ al-Lāh al-Wāḥid*, p. 77

[47] النص مقتبس من: *Fī Taṯlīṯ al-Lāh al-Wāḥid*, pp. 77-78.

[48] سورة البلد آية 4.

[49] سورة القمر آية 11.

	زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون[50]
آمنوا بالله وكلمته	قل يا أيها الناس إنّي رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السماوات والأرض لا إله الا هو يحيي ويميت فامنوا بالله ورسوله النبي الامي **الذي يؤمن بالله وكلماته** واتبعوه لعلكم تهتدون[51]
بل تنزله روح القدس من ربك رحمة وهدى	**قل نزله روح القدس من ربك** بالحق ليثبت الذين آمنوا **وهدى** وبشرى للمسلمين[52]

إذًا، حسب رأيي نحن أمام تطور في معرفة المسيحيين للمسلمين والإسلام، فليسوا كالجيل السابق يتكلمون عن الإسلام، عن معرفة سطحية أو عن معرفة شفهية للقرآن، كما نلاحظ، على سبيل المثال، في كتابات يوحنا الدمشقي (676–749م) اليونانية الذي يخبر عن القرآن، حيث أنّ اقتباساته تدل على معرفة سماعية للكتاب،[53] بل إنّهم يعلمون جيدًا القرآن قارئين له ودارسين التعاليم والمبادئ الدينية للإسلام.[54]

بالإضافة إلى معرفة كاتبنا للقرآن فهو يقرأه مسيحيًا، إذا استطعنا القول هكذا. فهو يستخدمه كبرهان للثالوث كما شرح، هو بنفسه سابقًا، أي الله وكلمته وروحه. سيتساءل البعض إذا كان

[50] سورة الأنعام آية 94.

[51] سورة الأعراف آية 158.

[52] سورة النحل آية 102.

[53] عن رأي يوحنا الدمشقي في الإسلام، انظر:
D. SAHAS, *John of Damascus on Islam. The "Heresy of the Ishmaelites",* Leiden 1972;
G. RIZZI, *ed., La Centesima Eresia,* introduzione, traduzione e note, Milano 1997.

[54] عن معرفة المسيحيين للمسلمين في الفترة الاولى لظهور الإسلام وانتشاره، أي حتى نهاية الخلافة الأموية أنظر أيضًا:
M. PENN, ed., *When Christians First Met Muslims. A sourcebook of the Earliest Syriac Writings on Islam*, Oakland 2015.

المؤلف المجهول يضع القرآن والإنجيل والتوراة في مرتبة واحدة. للوهلة الأولى سيجيب القارئ بنعم، لكن إذا دققنا أكثر في النص سنستنتج بعض النقاط الهامة:

«فماذا أبين من هذه وأنور حين **نجد في التوراة والانبيا والزبور والانجيل. وأنتم تجدونه في القرآن** ان الله وكلمته وروحه إله واحد ورب واحد».[55]

الكاتب يميز بين جماعته (المسيحيين) ويقول "نجد في التوراة والانبياء والزبور والانجيل" من جهة، ومن جهة أخرى جماعة المسلمين الذين يخاطبهم قائلاً "وأنتم تجدونه في القرآن". كاتبنا إذا، كما يلاحظ سيدني جريفيث (Sidney Griffith)، لا يعتبر القرآن كتابًا مقدسًا للمسيحيين، فهو كتاب المسلمين ومصحفهم، ولكن بالوقت ذاته يقرأ القرآن مسيحيًا محاولًا أن يثبت أنّ التعليم المسيحي بشأن الثالوث موجود في القرآن وعلى المسلمين أن لا يتهموا المسيحيين بالإشراك[56]، لأن عقيدة الثالوث لا تعني أبدًا ثلاثة آلهة. طبعًا استخدامه للقرآن، اقتباسه لبعض الآيات واستعمالها كبرهان، يبقى ضمن محاولته لقراءة القرآن مسيحيًا، ولتنبيه المسيحيين من قرّائه، كما ينوه سمير خليل سمير، أن لا يسلموا لأنّ الإسلام وكتابه المقدس لا ينكرون الإيمان المسيحي.[57] إذًا الكاتب لا يتكلم فقط ويحاور المسلمين[58]، بل إنّه يخاطب المسيحيين، أهل دينه، ويحاول أن يؤكد إيمانهم، فيبرهنه من خلال القرآن أيضًا علّهم يثبتون على مسيحيّتهم، وهذا يندرج ضمن عمله الرعوي.

الكاتب إذًا لا ينكر أنّ القرآن منزل، ولذلك يستخدمه كبرهان، لا للمسيحيين، بل للمسلمين أنفسهم، لعلهم يتوقفون عن اتهام المسيحيين بالإشراك، اتهامات مبنية على عدم الفهم الكامل للإيمان المسيحي. إذا القرآن هو من الكتب المنزلة وتعليمه مثل تعليم كتب المسيحيين (التوراة والانبياء

---

[55] النص مقتبس من: *Fī Taṯlīṯ al-Lāh al-Wāḥid*, p. 77.

[56] انظر:

S. GRIFFITH, *The church in the Shadow of the Mosque*, pp. 55-56; S. GRIFFITH, "The Qur'ān in Arab Christian texts; the development of an apologetic argument. Abū Qurrah in the *mağlis* of al-Ma'mūn", *PdO* 24(1999), pp. 203-233, here pp. 215-216.

[57] انظر:

S. K. SAMIR, "The earliest Arab apology", p. 109; S. GRIFFITH, *The church in the Shadow of the Mosque*, p. 56.

[58] انظر: M. SWANSON, "Beyond prooftexting", p. 107.

والزبور والانجيل). في نهاية الاقتباس أعلاه نجد مجهولنا يؤكد ذلك بطريقة مميزة قائلًا: «والله قد بين في الكتب كلها أنّ الأمر على ذلك في الهدى ودين الحق». إنّ هذا بحد ذاته في غاية الأهمية والجرأة، التي نفتقدها اليوم في آبائنا، لاهوتيينا وأئمتنا.

- **سر المسيح وسر التجسد الإلهي:**

لننتقل إلى نقطة اختلاف ثانية بين المسلمين والمسيحيين. الأولون يعتبرون المسيح، عيسى ابن مريم، نبيًا بشريًا كسائر الأنبياء، بينما الآخرون يعتبرونه الكلمة-الابن (الواحد من الثالوث) وقد صار إنسانًا، بتعبير آخر الإله المتجسد.[59] كاتبنا اذًا سيحاول أن يشرح مسألة التجسد وأن يؤكد للمسلمين من مستمعيه وقارئيه كيف أنّ للمسيح حقًا طبيعة إلهية.

أولًا هو يؤكد على أن المسيح والكلمة شخص واحد:

> «أما في المسيح فخلص الناس ونجاهم. فسنبيّن ذلك، إن شاء الله، كيف **أرسل الله كلمته ونوره رحمة للناس وهدى** ومن عليهم به. ولم نزل من السما **خلاصا** لآدم وذريته من إبليس وظلمته وضلالته.»[60]
>
> «والنبي **هو المسيح كلمة الله وروحه** الذي أرسله من السما **رحمة وهدى** لذرية ادم و**خلاصهم**.»[61]
>
> «واعلم أن المسيح لم ينزل من السما لخلاص نفسه، لقد كان **كلمة وروح عند الله من قبل الدهر**، وكانت الملايكة يسبحون لله وكلمته وروحه، رب واحد يقدس كل، ولاكنه **نزل رحمة وخلاص لآدم وذريته من ابليس وضلالته**، ولم يفارق العرش عند الله»[62].
>
> «فأرسل الله من عرشه كلمته التي هي منه، وخلص ذرية ادم ولبس هذا الإنسان الضعيف المقهور **من مريم الطيبة التي اصطفاها الله على نسا العالمين**. فاحتجب

---

[59] حول التعليم بشأن المسيح بين القرآن والانجيل يمكنك الاطلاع على التالي:

M. BEAUMONT, *Christology in Dialogue with Muslims. A Critical Analysis of Christian Presentations of Christ for Muslims from Ninth and Twentieth Centuries*, Milton Keynes - Waynesboro 2005; N. ROBINSON, *Christ in Islam and Christianity*, New York 1991.

[60] النص مقتبس من: *Fī Taṯlīṯ al-Lāh al-Wāḥid*, p. 78.

[61] النص مقتبس من: *Fī Taṯlīṯ al-Lāh al-Wāḥid*, p. 81.

[62] النص مقتبس من: *Fī Taṯlīṯ al-Lāh al-Wāḥid*, p. 84.

بها وأهلك به الشر واكبته وكبته وتركه ضعيفا ذليلا، لا يفتخر على ذرية آدم شديد الحسرة حين قهره الله بهذا الإنسان الذي لبسه»[63].

يجب أن نلاحظ كيف أن كاتبنا بهذه الاقتباسات الأربعة، يستعمل لغة القرآن ويعبّر بها إيمانه المسيحي. إنّ الباحثين يدعون ذلك (enculturation)[64]، أنا أرى بذلك ما هو أكثر. نحن أمام محاولة لقراءة قرآنية للإنجيل والإيمان المسيحي، أو إذا صحّ التعبير، قراءة إنجيلية مسيحية للقرآن. فمؤلفنا لا يخاف أن يدعو المسيح "كلمة الله وروحه" وهو تعبير قرآني غريب عن العقيدة المسيحية.[65] فالكنيسة لم تدعو المسيح "كلمة الله وروحه" بل دائمًا شددت على التمييز بين الأقانيم الثلاثة. وبما أن المسيح هو الابن، فلا يمكن أن يكون الروح أيضًا.[66] بالرغم من هذا، ومعرفةً بأنّ مستمعيه وقراءه يألفون هذا التعبير، يستخدمه ويعبر به ويوضح إيمانه، مستندًا إلى تراث وتقليد لمسيحي اليهودية كالدمشقي يوحنا[67] وكأبي قرة المؤلف الذي سنرى أحد أعماله لاحقًا.

---

[63] النص مقتبس من: *Fī Taṯlīṯ al-Lāh al-Wāḥid*, p. 83.

[64] انظر:

S. GRIFFITH, *The church*, pp. 56-57; S. K. SAMIR, "The earliest Arab apology", pp. 70,109.

[65] انظر سورة النساء آية 171، بينما يمكنك الاطلاع على تحليل لهذا التعبير في:

Th. RICKS, *Early Arabic Christian Contributions to Trinitarian Theology. The Development of the Doctrine of the Trinity in an Islamic Milieu*, Minneapolis 201, pp. 21-40.

[66] حول عقيدة الثالوث والتمييز، لا الفصل، بين الاقانيم الثلاثة انظر:

F. DÜNYL, *A Brief History of the Doctrine of the Trinity in the Early Church*, New York 2007.

[67] لاستعمال يوحنا الدمشقيّ هذا التعبير انظر:

PG 94,765 B: «Λέγειν τόν Χριστόν Λόγον εἶναι τοῦ Θεοῦ, καί πνεύμα αὐτού κτιστόν δέ …».

PG 94,768 C: «Πάλιν δέ φαμεν πρός αὐτούς, Ὑμῶν λεγόντων, ὅτι Χριστός Λόγος ἐστί τοῦ Θεοῦ καί Πνεύμα πῶς λοιδορεῖται μας ὦς Ἑταιριστᾶς».

لاستعمال هذا التعبير من مؤلفين مسيحيين آخرين معاصرين للدمشقي، انظر:

في الاقتباس الثالث مؤلفنا يعبّر عن أبدية الابن الكلمة وأزليته، أي المسيح قبل التجسد، مستخدمًا هذا التعبير القرآني، فيقول: «لقد كان **كلمة وروح عند الله من قبل الدهر**». لم نجد في الآيات القرآنية التي تدعو المسيح "كلمة الله وروحًا منه" إشارة على أبديته، فهذا مثال واضح لما ندعوه قراءة القرآن مسيحيًا، أو قراءة قرآنية للإنجيل. المثال الثاني نجده في الاقتباس الرابع، فالكاتب يستخدم وصف القرآن لاصطفاء مريم العذراء كما جاء في الآية:

"وإذ قالت الملائكة يا **مريم** إنّ الله اصطفاك وطهرك **واصطفاك على نساء العالمين**"[68]

ويضعه في التعليم حول التجسد وسببه وهدفه وهو خلاص ذرية آدم، موضوع غريب بالكلية عن القرآن حيث أن الخطيئة الجدية ومفهومها غير موجود،[69] فحسب القرآن آدم بعد خطأه ندم والله العلي غفر له ذنبه.[70] ولكن وبالرغم من أنّ موضوع الخلاص بمفهومه المسيحي غريب عن القرآن والتعليم الإسلامي، إلا أنّ كاتبنا يعبر عنه باستخدامه مرة أخرى تعبيرًا إسلاميًا لنفس الموضوع، أي الخلاص، لكن يعطي لهذا التعبير مضمونًا مسيحيًا: نحن نقصد طبعًا التعبير "رحمة للناس وهدى وخلاصًا". الله، حسب القرآن أرسل الأنبياء جميعهم وأنزل للناس كتبه رحمةً وهدًى،[71] وهذا طبعًا مفهوم الخلاص القرآني، أي تذكير البشر بوحدانية الله[72]، ولذلك إنّ "أهل الكتاب" مدعوون من القرآن "أهل الذكر" أيضًا.[73] مع نبي الإسلام يصبح هذا التعبير "رحمة وهدًى" مرتبطًا به وبرسالته، فهو والقرآن قد أُرسلوا للناس رحمة للمؤمنين كما تؤكد ذلك الآية:

"وما **أنزلنا عليك الكتاب** إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه **وهدى ورحمة** لقوم يؤمنون"[74]

B. ROGGEMA, *The Legend of Sergius Baḥīrā. Eastern Christian Apologetics and Apocalyptic in Response to Islam* (HCMR 9), Leiden-Boston 2009, pp. 104-113.

[68] سورة آل عمران آية 42.

[69] انظر: فادي ضو و نايلا طبّارة، *الرحابة الإلهيّة*، ص. 50-52.

[70] انظر سورة طه الآيات 120-122.

[71] انظر على سبيل المثال: سورة الأعراف آية 52 وسورة الأعراف آية 154.

[72] عن مفهوم الخلاص بالقرآن انظر: فادي ضو و نايلا طبّارة، *الرحابة الإلهيّة*، ص. 50-57.

[73] انظر سورة النحل آيات 43-44 وسورة الأنبياء آية 7.

[74] سورة النحل الآية 64.

مؤلفنا إذًا، يستعير الوصف القرآني للخلاص ويصف به المسيح، الكلمة المتجسد، ويعبر من خلاله مفهوم الخلاص لدى المسيحيين.

إذا كانت هذه استخدامات غير مباشرة للقرآن، فالكاتب يقتبس مرة أخرى بعض الآيات ليثبت أنّ القرآن لا ينفي ألوهية المسيح. طبعًا لسنا هنا لنؤكد رأي الكاتب أو لننفيه، بل إننا نعرض أسلوب حواره المبني على ما دعوتُه قراءة القرآن مسيحيًا، أو قراءة قرآنية للإنجيل.

أحد الأدلة القاطعة لألوهية المسيح هي العجائب التي صنعها[75]، وكاتبنا يعلم أنّ القرآن يُخبِر كمًّا من هذه العجائب فيقتبس بعض الآيات ليبرهن من خلالها أنّ القرآن يؤكد بها الوهية المسيح:

> «**فخلق** المسيح وليس يخلق الا الله. وأنتم **تجدون في القرآن** وقال "وخلق من الطين كهيئة الطير فنفخ فيه فاذا هو طير بإذن الله". **وغفر الذنوب ومن يغفر الذنوب إلا الله. واشبع من الجوع، وليس يعمل هذا ولا يرزق الا الله. وأنتم تجدون هذا كله من أمر المسيح في كتابكم**، وأعطى الحواريون روح القدس، وسلطهم على الشياطين وعلى كل مرض، وليس يعطي روح القدس الا **الله. هو الذي نفخ في ادم فإذا هو إنسان ذو نفس حية**. وصعد الى السما من حيث نزل على أجنحة الملايكة، وليس يستطيع ذلك الا الله. **هو الذي نزل من السماء على طور سينا** وكلم موسى واعطاه التوراة. **وهو في كل مكان**، ايه الانسان تام لا ينتقص منه شي. ثم يأتي المسيح يوم القيامة فيدين الناس بأعمالهم، ويورث الصالحين ملكوت السما وحياة دايمة لا انقطاع لها»[76].

إنّ مؤلفنا يعلم أنّ القرآن استعمل الفعل "خلق، يخلق" فقط لله وللمسيح، عيسى ابن مريم،[77] وهو يشير لآيات قرآنية التي تخبّر بذلك، أي بأنّ المسيح خلق، دون أن ينبّه أنّ القرآن يقول بأنّ المسيح صنع ما صنع بإذن الله، وهي الطريقة القرآنية التي تُبعد عن المسيح الصفة الإلهية، أي أنّه يصنع ذلك بواسطة الله وليس بواسطته هو:

---

[75] انظر:

O. CULLMANN, *The Christology of the New Testament*, Philadelphia 1963, pp. 269-290.

[76] النص مقتبس من: *Fī Taṯlīṯ al-Lāh al-Wāḥid*, pp. 84-85.

[77] انظر: BERTAINA, "The development", p. 167. D.

الاقتباس	الآيات القرآنية
"**وخلق** من الطين كهيئة الطير فنفخ فيه فاذا هو طير **بإذن الله**"	"ورسولا إلى بني إسرائيل إني قد جئتكم بآية من ربكم إني **أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله** وأبرئ الاكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إنّ في ذلك لآية لكم إنْ كنتم مؤمنين"[78] "إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلّم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل **وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني** وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين[79]

الإشارة والتذكير بالآيات القرآنية ليس هو البرهان الوحيد لمؤلفنا فهو يدمج هذه الإشارة إلى أحد عجائب المسيح المذكورة في القرآن، ويضعها في نسَقِ التعليم المسيحيّ عن المسيح. المسيح بهذه الطريقة يكون: 1- الذي يخلق، كما ورد في القرآن، 2- الذي نفخ في آدم نفسًا حيَّة، وهي صورة الخليقة القرآنية[80] مستخدَمة من الكاتب لتعبر عن الإيمان المسيحي بالكلمة الخالقة، 3- الذي غفر الذنوب،[81] أشبع الجائعين[82] وأعطى الرسل الروح القدس وأرسلهم للتبشير[83] وصعد إلى السماء،[84] كما يخبر الإنجيل عنه، 4- الذي تكلم مع موسى في سيناء وأعطاه التوراة، حسب التفسير المسيحي

[78] سورة آل عمران آية 49.

[79] سورة المائدة آية 110.

[80] انظر مثلًا: سورة الحجر آية 29.

[81] انظر مثلًا: انجيل لوقا، اصحاح 5، آيات 17-25.

[82] انظر مثلًا: انجيل مرقس، اصحاح 8، آيات 1-10.

[83] انظر مثلًا: انجيل متى، اصحاح 28، آيات 16-20.

[84] انظر مثلًا: انجيل لوقا، اصحاح 24، آيات 50-53.

للعهد القديم[85]. أعتقد أنّ مؤلفنا يحاول قراءة القرآن على ضوء المسيح يسوع، أي على ضوء الإيمان المسيحي، كما تقرأ الكنيسة العهد القديم. إنها، حسب رأيي، محاولة جريئة، يحاول استخدامها بعض مفكري أيامنا من لاهوتيين مسيحيين ومسلمين.[86]

إنّ القراءة المسيحية للقرآن لا تدع مؤلفنا يغفل عن بعض المشاكل التي تنتج عن هكذا قراءة، فتأكيد القرآن على عدم قبول ألوهية المسيح واضح في اعتباره مثل آدم أو كبقية الأنبياء والبشر كما يرد في الآيات التالية:

"إن **مثل عيسى** عند الله **كمثل آدم خلقه** من تراب ثم قال له كن فيكون" [87]

"وزكريا ويحيى و**عيسى** وإلياس كلّ من الصالحين"[88]

"قل آمنا بالله وما أُنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى و**عيسى** والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون"[89]

فهكذا ردّ كاتبنا المجهول:

> «**ولو كان مثل ادم** أو مثل أحد من الناس نبيا أو غيره لم يستطع ان يقضي في السما ولا أن يطلع الى السما **ويبقى الأرض كما بقي ادم ونوح وابراهيم وموسى والأنبيا والرسل كلهم**. **ولاكنه كلمة الله ونوره، اله من الله، نزل من السما بخلاص ادم وذريته** من إبليس وضلالته، **وصعد الى السما** حيث كان في كرامته وسلطانه، وملا قلوب الناس الذين امنوا به قوة وروح القدس لكيما يسبح الله وكلمته وروح القدس في السموات والأرض»[90].

---

[85] انظر مثلًا:

T. POLLARD, *Johannine Christology and the Early Church*, Cambridge 1970, pp. 80, 84, 128,292-298.

[86] انظر: فادي ضو و نايلا طبّارة، *الرحابة الإلهيّة*، ص. 98-109.

[87] سورة آل عمران آية 59.

[88] سورة الأنعام آية 85.

[89] سورة آل عمران آية 84.

[90] النص مقتبس من: *Fī Taṭlīṭ al-Lāh al-Wāḥid*, p. 86

المؤلف يدافع أمام هذا الادعاء بتأكيد الخلاف بين آدم والأنبياء من جهة، والمسيح من جهة أخرى. فيصف الأولين أرضيين، بينما المسيح هو الكلمة التي نزلت من السماء لخلاص البشر وصعدت إلى السماء بعد اتمام الرسالة. صعود المسيح للسماء لم يكن اختيارًا دون هدف، فمؤلفنا، من خلال هذه الحادثة، أي صعود المسيح إلى السماء، يحاول أن يثبت أنّ العهد القديم تنبأ عن ذلك، وهي القراءة المسيحية للتوراة والأنبياء. وبعدها يحاول أنّ يقول الأمر نفسه عن القرآن مقتبسًا الآية التي تتكلم عن صعود المسيح إلى السماء:

> «**وتنبا أيضا داود** بروح القدس وقال على المسيح "قال الرب لربي اقعد يميني حتى اضع اعدايك تحت منصب قدميك". فقد صعد المسيح إلى السما ولم يفارق السما فقعد يمين الاب ووضع اعدايه الذين عصوه تحت منصب قدميه وتحت اقدام الذين امنوا بالمسيح. **وكذلك تجدون في القرآن** "اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة".»[91]

الاقتباس	الآية
"قال الرب لربي اقعد يميني حتى أضع أعدايك تحت منصب قدميك"	قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءكَ موطئًا لقدميك.[92]
"إني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة"	"إذ قال الله يا عيسى **اني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة** ثم إلي مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون"[93]

إذًا، مرة أخرى، الكاتب يقتبس جزءًا من آية قرآنية يُخَبِّرُ من خلالها عن صعود المسيح إلى السماء ليبرهن اختلافه، بواسطة القرآن، عن سائر الأنبياء وبالتالي ليؤكد الوهيته. إنّه يضع هذه الآية كدليل موازٍ لآية داوود. مع هكذا تحليل، مؤلفنا يعطي القرآن مكانة بين الكتب السماوية الموحاة من الله، شرط أن يُقرأ على ضوء المسيح والإيمان المسيحي، كما يقرأ المسيحيون العهد القديم:

---

[91] النص مقتبس من: *Fī Taṯlīṯ al-Lāh al-Wāḥid*, p. 88.

[92] مزمور 110 آية 1.

[93] سورة آل عمران الآية 55.

«فهذه حجتنا عند الله يوم القيامة على روس الملايكة والانبيا الاولين والاخرين: "انا امنا بك وبكلمتك وروحك القدس، اله واحد ورب واحد **كما انزلت وبينت للناس في كتبك**، فنجنا من عذاب الجحيم **وادخلنا برحمتك مع ملايكتك واصفياك وانبياك، اللهم**"»[94].

أسلوب المؤلف وقراءته للقرآن ومخاطبته للمسلمين وشرحه للإيمان المسيحي بلغة اسلامية وتعابير قرآنية، واعتباره القرآن "نبوة" مسحانية قارئًا ايّاها انجيليًا، هذا بحد ذاته يساعد الحوار المسيحي-الإسلامي اليوم، وإن لم يتفق مع التعليم الإسلامي وشرح القرآن من وجهة النظر الإسلامية. إنّه أسلوب يتيح للمسيحي أن يستخدم القرآن دليلًا وبرهانًا لإيمانه بدل أن يرفضه ويلغي عنه الوحي الإلهي. مؤخرًا اقترح أحد اللاهوتيين المسيحيين، الأب فادي ضو، الفكرة التالية: إنّه وباعتبار الإسلام دينًا إبراهيميًا، تستطيع الكنيسة أن ترى به نبوة مسحانيةً، فيكون لاهوتيًا، كالعهد القديم، قبل المسيح، لكن زمنيًا بعده. بهذه الطريقة تستطيع الكنيسة أن تعترف بوحي إلهي في القرآن، بالرغم من أنّها بذلك تختلف بقراءتها له عن المسلمين أنفسهم وقراءتهم للقرآن.[95] أليس هكذا اختلاف، موجود أيضًا بين قراءة اليهود للعهد القديم وقراءة الكنيسة له بضوء المسيح؟[96] هذا، بنظري، هام جدًا ويعتَبر قفزة في الحوار الإسلامي المسيحي. إنّ مؤلفنا المجهول كان قد وصل إلى هذه القناعة في نهايات القرن الثامن الميلادي، وهذا يعطيه أهمية جدية كمرجع للحوار وأساليبه.

2. أبو قرة والخليفة المأمون

- **ثيوذورس أبو قرة**

تاريخ ميلاده مجهول، يضعه الباحثون بين 740 و 755 ميلادي. بعكس ذلك، فمكان ولادته معروف، ولد بمدينة الرّها كما يقول هو بنفسه في أحد أعماله. درس الطب، المنطق، الفلسفة واللاهوت وأتقن اليونانية، السريانية والعربية. ترهبن في دير القديس سابا بصحراء يهوذا، أي أنه

---

[94] النص مقتبس من: *Fī Taṯlīṯ al-Lāh al-Wāḥid*, p. 103.

[95] انظر: فادي ضو و نايلا طبّارة، *الرحابة الإلهيّة*، ص. 104-109.

[96] حول هذا الموضوع، انظر:
G. ARCHER – G. CHIRICHIGNO, *Old Testament Quotations in the New Testament*, Chicago 1983.

ينتمي إلى طائفة الملكيين (الروم الأورثذكس). في الدير تعمق بدراسة الكتاب المقدس والآباء. كان يتردد إلى القدس للشعائر الدينية. عُيّن، سنة 795، أسقفا على مدينة حرّان (موجودة اليوم جنوب شرق تركيا عند الحدود مع سوريا)، لكن بعد وقت قصير ترك الأسقفية وعاد إلى القدس، إلى ديره وأفنى وقته بالدراسة وكتابة المقالات. كان لاهوتي بطريرك المدينة المقدسة أورشليم "توما" لسنوات عديدة. سافر الى بغداد وحاور هناك كبار المعتزلة ولاهوتيين مسيحيين من طوائف مختلفة. في سنة 829م التقى بالخليفة المأمون، وحسب طلب الخليفة قام بمناظرة كبار المتكلمين المسلمين. توفي أبو قرة بعد المجادلة بقليل، وأغلب الظن أن ذلك كان عام 830م.[97]

من الجدير ذكره أنّ أبا قرة كان من أوائل المحاورين للإسلام ومن كبارهم، أهميته تكمن في تأثيره على بعض كبار المعتزلة كالقاضي ابي الحسن عبد الجبار، وفي تحفيزه لبعض المتكلمين أن يردّوا عليه ببعض الكتابات.[98] في هذا الموضع سيتم تسليط الضوء على كيفية الحوار الذي حدث في بلاط المأمون، بالإضافة إلى القفزة النوعية والفلسفية في مستوى الحوار، وهو فرق بين النص الأول أعلاه، ونص "المجادلة" لأبي قرة.

- **"المجادلة" لدى الخليفة المأمون**

إنّ المجادلة قد حدثت فعلًا، وهو تارخيًا مؤكد عند المؤرخين القدام، لكن في القرن الأخير كان هناك جدل كبير بين المتخصصين حول إذا كان نص المجادلة الذي وصل إلينا بواسطة كم هائل من المخطوطات هو فعلًا نص ما حدث، أم أنه نص مركبٌ منسوب لأبي قرة إذ علم مؤلفوه عن المجادلة. إن الباحثين، جادلوا هذا الموضوع دون أن يكون بين أيديهم النص المحقق، وهذا طبعًا كان نقطة ضعف لكلا الفريقين، لأولئك المؤكدين أصالته وأولئك النافين إياها. محقّق النص،

---

[97] عن حياة ابي قرة واعماله وما إلى ذلك انظر:
سمير خليل سمير، *أبو قرة. السيرة والمراجع*، بيروت 2000; سمير خليل سمير، *أبو قرة. المؤلفات*، بيروت 2000. انظر ايضًا المقدمة في كل من العملين:
N. AWAD, *Orthodoxy in Arabic Terms. A Study of Theodore Abu Qurrah's Theology in Its Islamic Context*, Boston-Berlin 2015; W. NASRY, *The Caliph and the Bishop. A 9th Century Muslim-Christian Debate: Al-Ma'mūn and Abū Qurrah* (Textes et etudes sur l'orient chrétien 5), Beyrouth 2008.

[98] انظر: سمير خليل سمير، *أبو قرة. السيرة والمراجع*، ص. 43-45.

الأب اليسوعي وفيق نصري، بعد دراسة دقيقة لمحتوياته وللمعلومات التي به، وبعد مقارنته مع كتابات أخرى لأبي قرة، والبحث عن المعلومات التاريخية للمجادلة وغيره من الأمور التي لا يستطاع عرضها هنا، توصل، وبشكل مقنع، إلى تأكيد أصالة فحوى المجادلة ونسبة افكارها إلى أبي قرة. في الوقت نفسه، يؤكد الأب نصري أنّ النص الذي وصل إلينا بواسطة المخطوطات ليس هو ذلك النص الذي، حسب المؤرخ السرياني ميخائيل، كتبه أبو قرة بيده. إذًا، النص الذي بين أيدينا هو نص يعتمد على رواية أبي قره ذاتها، كتابية كانت أو شفوية، ويحتوي، بالإضافة إلى ذلك، على بعض التغييرات أو بالأحرى، الإضافات التي من خلالها ومع مرور الزمن تم تعديل النص الأصلي. بالرغم من ذلك فقد بقيت بنية النص بنية مجادلة شفوية، وهذا يعطي تأكيدًا واضحًا لأصالته.[99] لهذا السبب لن أعرض في تحليلي للنص نقاط الخلاف بين المسلمين والمسيحيين، بل سأسلط الضوء على أسلوب الحوار وأهمية بعض النقاط التي تبدو أنها تعود الى المجادلة التي حدثت فعلًا في بلاط المأمون.

قبل البدء بذلك ولأجعل أمر الإضافات واضحًا، سأذكر المثال التالي: إن المعلومات التاريخية التي بحوزتنا لا تذكر أسماء المتكلمين من المسلمين الذين اجتمعوا في بلاط المأمون لمناظرة أبي قرة، لكن نصّ المجادلة يذكر الأسماء التالية: «محمد بن عبد الله الهاشمي، هارون بن هاشم الخزاعي، سلام الهمذاني، صعصعة بن خالد البصري وجماعة من وجوه قريش».[100] من المأكد أنّ بعض هذه الأسماء ليست لأشخاص عاشت بالحقيقية، لكن البعض الآخر فهو أسماء متكلمين بارزين في الإسلام.[101]

إنّ العمل الأول "في تثليث الله الواحد"، كان عملًا دفاعيًّا، كما قلنا. من خلال تحليل النص أعلاه يُلاحظ القارئ دور الحوار الغير مباشر مع الإسلام وكتابهم المقدس، ما سيعرضه لنا نصّ المجادلة هو أمر مختلف كليًّا، فنحن الآن في بلاط خليفة الإسلام العباسي المأمون، حيث اجتمع متكلمون

[99] انظر: وفيق نصري، *أبو قرة والمأمون: المجادلة* (التراث العربي المسيحي 25)، بيروت 2010، ص. 90-93.

[100] النص مقتبس من: وفيق نصري، *أبو قرة والمأمون: المجادلة*، ص. 98.

[101] انظر: وفيق نصري، *أبو قرة والمأمون: المجادلة*، ص. 55 و ص. 87-90.

ومحاورون مسلمون لمناظرة أحد أهم اللاهوتيين المسيحيين في ذلك العصر. إذًا نحن في صدد قراءة نص لحوار مباشر تم تحت طلب الخليفة وكنفه. فعلًا نحن نقرأ في النص ما يلي:

«وكان المأمون يحب أبا قرة، ويجلِسه، ويبسط له مجلِس الخِلافة. واجتمع إليه وجوه قريش، وقالوا له: "تجلس مع رجل نصرانيّ، وتبسط له مجلس الخلافة!". فقال لهم المأمون: "**هذا رجل عالم، خبير في دينه ومذهبه**". قالوا له: " **من أين لهذا النصراني دين أو مذهب؟**" قال لهم المأمون: **أشتهي واللهِ أن تناظروه، وتوضحوا حقيقة دين الإسلام، وتظهروا ضعف دين النصارى**". فقالوا له: "السمع والطاعة، يكون هذا غدًا". فلما كان الغد، حضر وجوه قريش ومن له أدب ومعرفة إلى مجلس المأمون. وحضر أبو قرة. فقال المأمون لأبي قرة: "إنّ هؤلاء القوم قد ذكروا أنه لا دين لك ولا معرفة، وقد أرادوا أن يناظروك تصحيحًا". فقال أبو قرة: "**إن أذن لي سيدي ومولاي، أمير المؤمنين، أطال الله بقاؤه! فأنا أبطل ذلك، بشرطِ أن لا أعَيَّب، ولا أخاطب إلا بالتي هي أحسن، كما يقال في القرآن: "فلا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن**"»[102]

من الواضح أن راوي المجادلة يحاول أن يصف واقعًا صعبًا، كان يواجهه المسيحيون من قِبَل بعض المسلمين، لهذا اشترط أبو قرة على المأمون أن يعامل بالتي هي أحسن، مشيرًا إلى أمر الله للمسلمين بمعاملة جيدة لأهل الكتاب، كما ورد في القرآن:

"ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون"[103]

هدف المجادلة هو المناظرة بين مفكرين من الدينين يُظهِر من خلالها كلّ فريق مقدرته على توضيح وتأكيد صحة دينه. طبعًا، حدوث هكذا مجادلة تحت كنف الخليفة العباسي، وهو أمر معروف عن المأمون وحبه للمجالس والمناظرات،[104] وتعهد الخليفة المسلم للاهوتي مسيحي بالمعاملة الحسنة

---

[102] النص مقتبس من: وفيق نصري، *أبو قرة والمأمون: المجادلة*، ص. 98-100.

[103] سورة العنكبوت آية 46.

[104] انظر:

J. M. FIEY, *Chrétiens Syriaques sous les Abbassides. Surtout à Bagdad (749-1258)* (CSCO 420 / Subs. 59), Louvain 1980, pp. 73-75.

يعكس لنا واقعًا حبذا لو نعيشه نحن اليوم أيضًا، أن نتحاور ونختلف بالحوار، لكن أن يعامِل كلّ منا الآخر بالتي هي أحسن، مطيعين وصية الخالق عز وجل كما وردت في كتبه. لأهمية هذا الشرط في الحوار، نجده متكررًا عدة مراة في نص المجادلة، كما في الاقتباس الذي أمامنا:

«فنهض إلى أبي قرة رجل يقال له محمد بن عبد الله الهاشمي، وقال له: ويحك، يا أبا قرة! إنّ المسيح كلمة الله وروحه، بعثها إلى مريم، ومثَلُهُ عند الله كمَثَل آدم، خلقه من تراب ونفخ فيه من روحه. فسكت أبو قرة طويلًا ولم يرد جوابًا، وأطرق إلى الأرض مليًا. فقال له المأمون: "لم لا تجيبه يا أبا قرة"؟ قال له: "حتى يأمرني أمير المؤمنين بذلك". قال له أمير المؤمنين: "**يا أبا قرة، إن هذا مجلس عدلٍ وإنصافٍ وبرهانٍ. لا يتعدى عليك فيه أحدٌ. فأطلِق لسانك، وهات مسألتك، وأوضح ما في ضميرك. فليس هاهنا من يجاوبك، إلا بالتي هي أحسن** ... قال أبو قرة:" اسأل عمّا بدا لك، يا أبا محمد". فقال له: "في تشبيه المسيح لآدم". فقال لهُ أبو قرّة: "عرّفني، هل آدم خُلق من شيء يوصف ويعرف أم لا"؟ قال: "من شيء يوصف ويعرف". قال له أبو قرة: "فيقاس"؟ قال: "نعم". قال: "فيُحَد هذا الشيء"؟ قال: "نعم". قال أبو قرة: "أخبرني عن المسيح، من شيء هو مخلوق أم لا"؟ قال: "نعم، من كلمة الله وروحه". قال أبو قرة: "كلمة الله وروحه تحد وتكيَّف وتوصف"؟ قال: "لا، ولا تدرك". قال أبو قرة: "**أخبرني عن كلمة الله، خالقة هي أم مخلوقة**"؟ فأطرق محمد بن عبد الله رأسه ساعةً صامتًا، ولم يرد جوابًا، وكان مفكرًا إن قال خالقةً فيُغلب، وما يتهيأ له أن يقول مخلوقة.»[105]

كما في النص السابق كذلك هنا لسنا في صدد تحليل فلسفي ولاهوتي لمواضيع الحوار. ما يهمني في هذا الاقتباس، على سبيل المثال، الإشارة إلى نوعية الحوار، فهو حوار صريح مبني على معرفة المشتركين به معرفة جيدة بالآخر، بتعليمه وإيمانه، حتى لو حصل على معرفته هذه بطريقة غير مباشرة. فنرى أنّ الخليفة يؤكد أنّ المجلس هو مجلس عدل وحوار صريح، ومعاملة حسنة لجميع الأطراف، وكأننا في كلية حديثة للاهوت أو لعلم الأديان، كلّ باحث فيها يعرض رأيه ويحاور الرأي الآخر مستعينًا بحجج مختلفة لإثبات رأيه وضحد الرأي الآخر. إنّ هذا التأكيد للعدل والأمان والحرية في التعبير، وإن كان مستحيلًا أن يتحقق بصورة مطلقة، أتاح لأبي قرة أن يستهل المناظرة

[105] النص مقتبس من: وفيق نصري، *أبو قرة والمأمون: المجادلة*، ص. 109-115.

طالبًا من مجادله السؤال. من الواضح أنّ المحاور المسلم في هذا النص يسأل معتمدًا على التعليم القرآني حول المسيح، الذي هو كلمة الله وروحه بعثها إلى مريم، وهو شبه آدم خلق من تراب.[106] أبو قرة في ردّه يستعمل المنطق، معتمدًا أيضًا على التعليم الإسلامي والفلسفة في ذلك الوقت. فهو يبدأ من الفرق بين خلق آدم وخلق المسيح حسب الرواية القرآنية، فآدم من التراب ونفخة حياة[107] والمسيح من كلمة الله وروحه،[108] فيسأل إذا كانت كلمة الله مخلوقة أم لا، وهو سؤال فلسفي، كان مركز الحوار إما بين متكلمي المدارس الفكرية الإسلامية كالقدرية والجبرية والمعتزلة، وإما بين المتكلمين المسلمين من جهة واللاهوتيين المسيحيين من جهة أخرى.[109] استعمال الفلسفة والمنطق كان، ولا زال، من أهم السبل الحوارية بين الأديان وبين التيارات الفكرية والفلسفية، بالإضافة إلى معرفة المحاور بالفكر الآخر وتعاليمه، وهذا بيّن من خلال النص الآتي:

> «والآن إذ قد أذن لي مولاي وسيدي أمير المؤمنين بالكلام، فلا بدّ لي من الجواب، عن ديني، **وإيضاح الحجة فيه، بما أجد إليه السبيل**. وإن كنتَ تحقد عليّ بظلمك وتعديك ولا تسمع. والآن **فاسمع ما نطق به كتابك**، ولا تتجبّر عليّ، **ولا تأنف من الاعتراف بالحق إذا اتضح لك من كتابك**. ولا تخاطبني إلاّ بالتي هي أحسن كما أمرك نبيّك في كتابك القائل لمن تقدم من النصارى: "**آمنا بما أُنزل علينا وعليكم وإنّ إلهنا وإلهكم واحد**". وأنتم لأجل إعجابكم لم تقبلوا قوله، ولا تطيعوا أمره. بل جعلتم مكان وصيته لكم ازدراءكم لديننا وقذفكم لنا بالقبيح. وقد قلتم إنه أتانا بالقبيح الذي لا نعتقده ولا نراه ... **ونبيك يقول في كتابك إنه لا يموت أحد من أهل الكتاب، إذ يؤمن بالله وباليوم الآخر** ... ونبيك يقول عنا ويشهد لنا في **سورة الأعراف** بقوله، "**قال الله: إنّا وجدنا أمة صالحة يهدون بالحق وبه يعدلون**" وقال أيضًا في **سورة آل عمران**: "**إن من أهل الكتاب أمة صالحة قائمة، يتلون آيات الله في الليل والنهار، وهم يسجدون ويؤمنون بالله وباليوم الآخر، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، أولئك**

---

[106] انظر اعلاه الى الآيات القرآنية التي تشير إلى هكذا تعليم.

[107] انظر: سورة الحجر آيات 28-29 وسورة ص آيات 71-72.

[108] انظر: سورة آل عمران آية 45 وسورة النساء آية 171.

[109] انظر حول هذا الموضوع: H. A. WOLFSON, *The Philosophy of the Kalam*, pp. 235-303.

هم الصالحون". وقال: "**لتجدنّ النصارى محكمين بما أنزل عليهم من ربهم**"، وأنت لبغيك علينا وحسدك لنا تسمينا مشركين»[110]

مشكلة أبي قرة هي اتهام المسيحيين، من قبل بعض المسلمين، بالإشراك. قد رأينا كيف عالج المؤلف المجهول هكذا مسألة، لنرى كيف يعالج أبو قرة هذه التهمة. يظهر في هذه المجادلة معرفة أبي قرّة الجيدة بالقرآن ويستعمله مرجعا ليحتجّ على المسلم المجادل ويؤكد عكس ادعاءاته، فيذكر بعض الآيات مباشرة أو غير مباشرة، بالإضافة إلى أسماء بعض السور التي وردت بها هذه الآيات ليظهر في النهاية أنّ القرآن لا يعتبر المسيحيين مشركين:

النص المقتبس	الآية القرآنية
"آمنا بما أُنزل علينا وعليكم وإنّ إلهنا وإلهكم واحد"	"ولا تجادلوا اهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وأنزل اليكم وإلهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون"[111]
"ونبيك يقول في كتابك إنه لا يموت أحد من **أهل الكتاب، إذ يؤمن بالله وباليوم الآخر**"	"**إنّ الذين امنوا** والذين هادوا والصابئون **والنصارى من آمن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم** ولا هم يحزنون"[112]
"قال الله: إنّا وجدنا **أمة صالحة يهدون بالحق وبه يعدلون**"	"وممن خلقنا **أمة يهدون بالحق وبه يعدلون**"[113] "ومن قوم موسى **أذمة يهدون بالحق وبه يعدلون**"[114]
"**إنّ من أهل الكتاب أمة صالحة قائمة، يتلون آيات الله في الليل والنهار، وهم**	"ليسوا سواء **من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله أناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله**

[110] النص مقتبس من: وفيق نصري، *أبو قرة والمأمون: المجادلة*، ص. 117-119، 131-133.

[111] سورة العنكبوت الآية 46.

[112] سورة المائدة آية 69.

[113] سورة الأعراف آية 181.

[114] سورة الأعراف آية 159.

النص المقتبس	الآية القرآنية
يسجدون ويؤمنون بالله وباليوم الآخر، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، أولئك هم الصالحون"	**واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ويسارعون في الخيرات **واولئك من الصالحين"**[115]
"لتجدنّ **النصارى محكمين بما أنزل عليهم** من ربهم"	**"وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه** ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون"[116]

إنّ مقارنة الآيات بنص المجادلة تؤكّد لنا معرفة اللاهوتي المسيحي بالقرآن وآياته وتعاليمه. إنّ هذه الآيات تؤكد أنّ أهل الكتاب، وبالذات المسيحيين منهم، أهل الإنجيل، هم أمة صالحة، معترف بها من قبل القرآن، ونبي المسلمين يؤكد حقيقة إيمانهم. ومن المؤكّد أنّ اعتماد آيات كهذه من قبل أبي قرة، وغيره، لهو خير دليل على أهميتها للمسيحيين الذين رأوا من خلالها اعترافًا بإيمانهم ووجودهم من الديانة الجديدة وكتابها الكريم، وبطريقة غير مباشرة يعترفون بالوحي لهذا الكتاب. للأسف، الكثير من المسلمين، بالأمس واليوم، يدعون أنّ هذه الآيات نسخت بآيات أخرى، آيات تبرر العداء نحو المسيحيين وغيرهم. اليوم، عدد من مفكري الإسلام وعلمائه، كردة فعل على كلّ ما يجري من أحداث عنف باسم هذا الدين وكتابه ونبيه، يعيدون النظر بمثل هذه الآيات ويقتبسونها في تنديداتهم ضد هكذا أفعال.[117] نصّ كنصّ المجادلة إذًا، سيكون عونًا، ليس فقط للمسلمين، بل أيضًا للمسيحيين الذين سيجدون اعترافًا بإيمانهم يبرؤهم من تهمة الشرك والكفر. الطريق طويلة، لكنها تبدأ بخطوة محبة نحو الآخر والمختلف.

فلنعد لنصّ المجادلة، كنّا قد قلنا إنّ المحاور، في أي حوار كان، يجب أن يعلم بدين مناظره وكتبه وتعاليمه. رأينا مثالًا من أبي قرة، فلنرى الآن مثالًا من متكلم مسلم، يدعوه نصّنا صعصعة بن خالد:

> «فقال صعصعة بن خالد: "أخبرني، يا أبا قرة، عن المسيح. ألم يقل لتلاميذه: **إني صاعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم**"؟ قال أبو قرة: "نعم". قال له صعصعة: "فهو إذن إنسان، من بني آدم". قال أبو قرة: "لو كان إنسانًا من بني آدم، لم يعمل الآيات والعجائب التي

[115] سورة آل عمران آيات 113-114.

[116] سورة المائدة آية 47.

[117] انظر: فادي ضو و نايلا طبّارة، *الرحابة الإلهيّة*، ص. 210-215.

عمل من إحياء الموتى وغير ذلك، مما يطول شرحه، **بلا معين ولا معضد، بل بأمر نافذٍ وقول جازم**. ولكنه جاءنا إنسانًا كاملًا وإلهًا كاملًا. فقال لتلاميذه، **"أبي وأبيكم" بألوهيته، وإلهي وإلهكم، بالناسوتية** ... وأمّا قوله "أبي وأبيكم"، فالله يقال **أبوه بالتحقيق، وأبو التلاميذ بالإنعام** والتفضّل. وأما قوله "إلهي وإلهكم"، **فهو إلهه على مجاز الكلام والإكرام**، كمَثَلِ ابن ملكٍ قال لغِلمانِه: "قال لكم مولاي ومولاكم". فهو مولاهم بالتحقيق، ومولاه بالإكرام. والله (عز وجلّ) **إله التلاميذ بالتحقيق**، وإلهه بالتفضل. فإن قلت بل هو إلهه بالتحقيق، قلنا لك فاجعل التلاميذ بني الله بالتحقيق. كما أن التلاميذ ليسوا بني الله بالتحقيق هكذا ليس الله (عز وجل!) إله سيدنا بالتحقيق.»[118]

إنّ المتكلم من خلال النص يشير إلى الآية التي من خلالها يَظهر أنّ المسيح يدعو الله إلهه، وهذا دليل، حسب منطق المتكلم وتحليله، لإنسانية المسيح دون ألوهيته، بكلمات أخرى، يحاول صعصعة أن يؤكد رأي المسلمين بالمسيح يسوع بأنه نبي وإنسان لا إله:

الآية من النص	الآية من الإنجيل
"إني صاعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم"	"قال لها يسوع لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي ولكن اذهبي إلى إخوتي **وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم"**[119]

إني أرى اقتباس صعصعة في غاية الأهمية، فهو على طريقته، كما فعل أبو قرة بقراءته للقرآن، يعطي اعترافًا بكتاب المسيحيين ملغيًا بطريقة غير مباشرة تهمة المسلمين تجاه المسيحيين بتحريف الكتب،[120] تهمة وُجهت لأبي قرة وللمسيحيين، في المجادلة، من قبل متكلمين آخرين.[121] إنّها لخطوة

[118] النص مقتبس من: وفيق نصري، *أبو قرة والمأمون: المجادلة*، ص. 141-143.

[119] انجيل يوحنا الاصحاح 20، الآية 17.

[120] حول اتهام المسلمين للمسيحيين بتحريف الكتب، انظر:
G. S. REYONDOLS, *A Muslim Theologian in the Sectarian Milieu. 'Abd al-Jabbār and the Critique of Christian Origins*, Leiden-Boston 200, pp. 163-175.

[121] انظر: وفيق نصري، *أبو قرة والمأمون: المجادلة*، ص. 206، 214.

مهمة، في الحوار المتجادلون متساوون، وكتبهم المقدسة يجب أن تعتبر مقدسة لهم، وألا يتهم أحد الآخر بتحريف، بإضافة أو بحذف ما، بل وُجِبَ الاعتراف بكتاب الآخر، كمقدس للآخر، ومحترمٍ من الجميع، ونصنا هنا مثال رائع لهكذا فكرة، بالرغم من أنها لم تطبق من كافة المشتركين.

إنّ إجابة أبي قرة، من جهتها، فيما يتعلق بعجائب المسيح المذكورة في القرآن، تظهر انتباه المسيحيين لتعبير "بإذن الله" الذي تحدثت عنه في الأعلى. أبو قرة يؤكد أنّ العجائب قد صنعها المسيح باسمه بدون معونة أو إذن أحدٍ. إضافة إلى هذا، إجابته تظهر لنا التحليل والتفسير الذي يقدمه المسيحيون لكتابهم (Exegesis). ومن جهة اخرى، يَظهر لنا دفع مستوى الحوار إلى مستوًى فلسفيّ أعلى من النص السابق. الفلسفة المعتمدة من مؤلفنا هي الحجة اللغوية: فهو يركز على الفرق بين "أبوكم وإلهكم" من جه و"أبي وإلهي" من جهة أخرى،[122] وبهذه الطريق استطاع أبو قرة أن يشرح وجهة نظر طائفته بهكذا آية. فالله أبو المسيح بالطبيعة وأبو التلاميذ بالنعمة، بينما هو إله المسيح بالإكرام وإله التلاميذ بالتحقيق. إنّ اللاهوتي المسيحي لا يخاف من أن يطبق أسلوب تفسيره لكتابه المقدس على قرآن المسلمين، نقصد الحجة اللغوية التي من خلالها يثبت مراده، وهذا مثال لذلك من النص:

> «"...فصارت كلمة الله شبه إنسان، بلا خطيئة. وهو إله يقدر أن يعمل العجائب التي عمل. كما أن كتابك يشهد بذلك إذ يقول: "**وبعثنا إلى مريم من روحنا، فتمثل لها بشرًا سويًا**"، أعني بذلك أنه صار شبه إنسانٍ بالجسد". **ولكن أخبرني عن قول كتابك إن الله قال لعيسى يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني أنا وأمي إلهين، من دون الله"؟ فقال: سبحانك!، إن كنت قلته، فقد علمته، لأنك تعلم ما في نفسي، ولا أعلم ما في نفسك**". فأنت تعلم أن سيدنا المسيح لم يقل للناس: "اتخذوني وأمي إلهين". بل إنه قال: "اتخذوني الهًا". فهو صحيح.»[123]

مرة أخرى يتبين لنا أنّ أبا قرة يقتبس آيات قرآنية ويدل على علمه، بالأحرى على حوزته نسخة للقرآن:

---

[122] انظر في هذا الخصوص شرح الجاثليق طيموتاوس الاول لهذه الآية: لويس ساكو، *الجاثليق طيموتاوس الكبير*، بيروت 2009، ص. 19-20.

[123] النص مقتبس من وفيق نصري، *أبو قرة والمأمون: المجادلة*، ص. 144-145.

الآية من النص	الآية من القرآن
"وبعثنا إلى مريم من روحنا، فتمثل لها بشرًا سويًا"	"فاتخذت من دونهم حجابا **فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا"**[124]
"يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني أنا وأمي إلهين، من دون الله؟ فقال: سبحانك!، إن كنت قلته، فقد علمته، لأنك تعلم ما في نفسي، ولا أعلم ما في نفسك"	**"وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله. قال سبحانك** ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق **إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك** إنك أنت علام الغيوب"[125]

تطبيقًا لأسلوبه اللغوي في تفسير الكتاب المقدس على القرآن، يؤكد أبو قرة سرّ التجسّد، فالروح التي أرسلها الله إلى مريم، والتي هي بالنسبة للقرآن كلمة الله، المسيح، أصبحت شبه بشر، أي تجسّدت. لتأكيد ذلك، يقابله أبو قرة بتعبير إنجيلي وهو "صار شبه إنسان بالجسد".[126] بعد ذلك يقتبس آية من سورة المائدة، التي هي مركزية في فهم القرآن للثالوث، يحاول أن يفسرها مطبقًا فلسفة الحجة اللغويّة. حسب الآية المذكورة، الله يسأل المسيح لماذا قال لأتباعه أن يتخذوه هو وأمه كإلهين. نرى أنّ مفهوم الثالوث في القرآن من خلال هذه الآية يعبّر عن ثلاثية: "الله مريم والمسيح"، وهو تعليم لا علاقة له بالثالوث "الآب، الابن والروح القدس"[127] أبو قرة، لا يرفض هذا الاتهام والتعليم فحسب، بل يفسّر الآية قائلًا إنّ المسيح لم يدّع أنّه وأمه آلهة، بل قال إنّه هو إله. إنّ هذا لا يُنفى بواسطة الآية الكريمة. بكلمات أخرى، الآية تقول إنّ المسيح ادعى أنه وأمه إلٰهان، وهو تعليم خاطئ، أبو قرة يوافق القرآن ولا ينكر، بطريقة غير مباشرة، التعليم الذي ترفضه الآية، أي ان المسيح وأمه إلٰهان. لكنه ينبه، مطبقًا القاعدة اللغوية، أن الآية لا تنكر أن المسيح وحده إله. الخطأ التعليمي إذا يكمن في اعتبار مريم إله، والمسيحيون لا يعتبروها كذلك. تفسير أبو قرة يعتمد

[124] سورة مريم آية 17.

[125] سورة المائدة آية 116.

[126] انظر رسالة بولس الرسول الى اهل رومية الاصحاح الاول، الآيات 1-4.

[127] انظر ايضًا: فادي ضو و نايلا طبّارة، *الرحابة الإلهيّة*، ص. 150-151.

على الفرق بين التعبيرين "اتخذوني وأمي إلهين" و "اتخذوني الهًا" وهذا اسلوب مسيحي في تفسير الكتاب المقدس طبّقه أبو قرة على القرآن.

كما للكاتب المجهول كذلك لأبي قرة العهد القديم، العهد الجديد والقرآن كتب تؤكد إيمان المسيحيين بأنّ المسيح هو كلمة الله:

> «وقال: "وأعجب الأشياء أنكم تستهزئون بنا لاتباعنا المسيح، الذي **تقرون أنتم أنه روح الله وكلمته** ... التي خلقت جميع ما في السماوات وما في الأرض، ما يرى وما لا يرى. **وهو في السماء، كما تقرّون ولا تنكرون ذلك**. وقد قال داوود النبي: "**إن بكلمة الله خلقت السماوات والأرض، وبروح فيه جميع قواتها**". والانجيل المقدس يقول: "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، والله هو الكلمة". وكتابك يقول: "**إن الله يريد تحقيق الحق بكلمته وروحه**". وكلمة الله هي التي خلقت جميع الخلائق، وروحه أحيت الملائكة والنّاس.»[128]

لأبي قرة الكلمة هي الخالقة، وهذا قد قاله داوود في مزموره، أكده يوحنا الإنجيلي في إنجيله. عندما يأتي أبو قرة ليذكر القرآن سينتظر القارئ اقتباسًا لآية تتكلم عن الكلمة كخالقة، لكن ولعلم أبي قرة أنه لا توجد آية في القرآن تقول وبشكل واضح أنّ الله خلق بكلمته، استشهد بآية اخرى. من خلال استشهاداته نرى، كما للكاتب المجهول، أن اللاهوتي المسيحي يستشهد بكتاب المسلمين موضحًا أنه للمسلمين، في الوقت نفسه، استشهاده هذا لهو اعتراف بوجود وحي إلهي بالقرآن، بشرط أن يُقرأ على ضوء المسيح، كما يُقرأ العهد القديم، وهكذا يمكن اعتباره من الكنيسة نبوة مسحانية، كما ذكرنا أعلاه:

النص	الآيات
"إن بكلمة الله خلقت السماوات والأرض، وبروح فيه جميع قواتها"	"بكلمة الربّ صُنعت السماوات، وبنسمة فيه كل جنودها"[129]

[128] النص مقتبس من: وفيق نصري، *أبو قرة والمأمون: المجادلة*، ص. 150-152.

[129] مزمور 33 آية 6.

"في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، والله هو الكلمة"	"في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله"[130]
"إن الله **يريد تحقيق الحق بكلمته** وروحه"	"وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أنّ غير ذات الشوكة تكون لكم **ويريد الله أن يحق الحق بكلماته** ويقطع دابر الكافرين"[131]

بالرغم من أنّ القرآن لا يتكلم بوضوح عن الخلق بالكلمة، إلا أنّ هذا تعليم موجود في الفكر الإسلامي،[132] الذي يرى في تعابير قرآنية مثل "فإنما يقول (الله) له كن فيكون"[133] دليل على خلق الله العالم بكلمته، وهذا دليل آخر على إلمام كاتبنا بالفكر الإسلامي وتعاليمه. طبعًا الإسلام لم يقبل أبدًا أن يصف هذه الكلمة بالابن كما فعل المسيحيون،[134] لكن فكرة الخلق بالكلمة تبقى إحدى أهم النقاط التي يمكن أن يلتقي عليها المسلمون والمسيحيون.

المعروف أيضًا أنّ المدارس المذهبية في الإسلام كانت قد طوّرت الفكر الإسلامي الفلسفي، المدعو كلامًا، الذي أصبح أحد عناصر الحوار، بل وأصبحت الفلسفة والمنطق أسلحة بيد المحاورين ليظهروا صحيح إيمانهم،[135] وهذا مثال من نص المجادلة:

> «فانتبه لأبي قرة رجل من بني هاشم وقال: "ويحك، يا أبا قرة! اسمع! ما نسبناكم إلى الشرك، إلا لقولكم إن الله له ولد". فقال أبو قرة: "اسمع، يا ابن عم الرسول، قول نبيك وابن عمك في **سورة الزُّمَر**: "**لو أراد الله أن يتخذ له ولدًا لاصطفاه ممّن خلق**

[130] انجيل يوحنا الإصحاح 1، الآية 1.

[131] سورة الانفال آية 7.

[132] حول هذا الموضوع، انظر:

H. A. WOLFSON, *The Philosophy of the Kalam*, pp. 355-465; W. A. GRAHAM, *Divine Word and Prophetic Word in Early Islam*, Mouton- The Hauge- Paris 1977.

[133] ان هذا تعبير من سورة مريم آية 35: " ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون ".

[134] انظر سورة مريم آية 35.

[135] ان عمل ولفسون بحد ذاته أكبر مثال على ذلك:

H. A. WOLFSON, *The Philosophy of the Kalam*.

فيمن يشاء". فأنكرتَ أنتَ على ربِّكَ أن يصطفي كلمته وروحه، ويكرمهما ويمجدها ويسميها له ولدًا. وانت تسمي نبيك رسولًا، وإبراهيم يسمّى خليلًا، وموسى كليمًا"؟ قال: "نعم". قال أبو قرة: "فمن الذي يمنع الله أن يسمّي كلمته وروحه ولدًا، إذ هما منه؟ كما الذي هو منك لا تنكره.»[136]

إنّ الموضوع العام في هذا الاقتباس هو الحرية عند الله، وهو موضوع فلسفي قديم، كان أحد أهم النقاشات بين المسيحيين في القرون الأولى،[137] ومن ثم أخذ دوره في الجدالات، إما بين المدارس المذهبية الإسلامية،[138] وإما بين الإسلام من جهة والمسيحية من جهة أخرى كما يظهر في نصنا ههنا. أبو قرة، يستخدم كمرجع له، آية من سورة الزمر:

النص	الآية
"لو أراد الله أن يتخذ له ولدًا لاصطفاه ممّن خلق فيمن يشاء"	**"لو أراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء** سبحانه هو الله الواحد القهار"[139]

إن الله، إذًا لهو حر أن يختار ويصطفي ولدًا مما خلق، وهذا قول يؤكده القرآن، فلماذا ينكر المسلمون على المسيحيين قولهم إنّ كلمة الله هي ابنه؟ ألا يكونوا بذلك قد منعوا الله من أن يكون حرًا؟ إنّ هذا المثال من الأسئلة يبرهن لنا مستوى الفكر العميق والرفيع الذي وصل إليه الحوار الإسلامي- المسيحي في عصوره الأولى. فالمسلم وكذا المسيحي يستخدمون الوسيلة نفسها ليدافعوا عن إيمانهم، وسيلة مشتركة مصدرها العقل البشري ومنطقه. فهل تعود حواراتنا إلى مستوى رفيع كهذا، ونتخلى عن الشتائم والرذائل والاتهامات، التي لا تجلب سوى العنف والحقد والكراهية؟

---

[136] النص مقتبس من وفيق نصري، *أبو قرة والمأمون: المجادلة*، ص. 153-154.

[137] انظر مثلًا:

P. PHAN, "Systematic issues in Trinitarian theology" in P. PHAN, ed., *The Cambridge Companion to The Trinity*, Cambridge 2011, pp. 13-29.

[138] انظر: H. A. WOLFSON, *The Philosophy of the Kalam*, pp. 655-719.

[139] سورة الزمر آية 4.

من المعروف، عودةً إلى مؤلفنا، أنّ أبا قرة قد ترجم أعمالًا لأرسطو الفيلسوف الإغريقي العظيم، من اليونانية إلى العربية.[140] إنّ الفلسفة الإغريقية ساعدت المسيحيين في تطوير لغة حضارية فلسفية ليعبّروا من خلالها عن إيمانهم ويشرحوه. بدورهم، وبواسطة الأعمال الترجمية من اليونانية والسريانية إلى العربية، قام المسيحيون بإعطاء المسلمين هذه اللغة، فأصبحت تستعمل أيضًا من قبلهم لتفسيرات وجدالات. في نهاية نصّ المجادلة نجد، بطلب أمير المؤمنين المأمون، أبا قرة يذكر إيمانه بشكل مختصر، نعرض منه ههنا الجزء الأول:

> «أعرفك أن المسيح الله. الآب والابن والروح القدس إله واحد، المعروف **بوحدانية جوهريته، المعبود بثالوث خواصّه**، الذي لا نظير له ولا عديل ولا كُفُؤَ ولا سبيل ولا ضدّ ولا نديد. العالم الذي لا انتهاء لعلمه، القادر الّذي لا أمر لقدرته، الأول الّذي لا ابتداء له، والآخر الذي لا انتهاء له، الباقي الذي لا فناء له، العظيم الذي لا انتهاء له، الخالق الذي لا معين له، العالي الذي لا يرام ولا يدرك، العزيز الذي لا يقهر، العالم الذي لا يجهل، الحائط الذي لا يغفل، القوي الذي لا يوصف، الصادق الّذي لا يخلف، الحي الذي لا يموت، الدائم بغير مدة، الباقي إلى غير غاية، القادر، القاهر، المعروف بالرأفة والرحمة، الذي قامت السماوات بكلمته وخضعت الرقاب لعزته، وقرت الأرض وما عليها بالعبودية له، وكلت الأبصار عن رؤيته. **له الأسماء الحسنى، الإله الذي لا يتألم، ولا يتغير، ولا يتبدل، ولا يموت، ولا تدركه الأبصار، ولا تحوطه الأوهام، الذي لا يقدر أحد أن يعرفه ولا يبلغه**. له أقر وإياه أعترف بالربوية واللاهوتية والعظمة والجلال والقدرة. **واقر أن الحي هو الآب، لأن الأبوة هي الأصلية وأن كلمة الله وحكمته هو الابن وكل ذي أبوة، ذو ابنٍ. وأن روح القدس، هي روح الله، لأنه لا يكون الحي حيًّا بغير روحٍ**. وأومن أن يجمع **جوهر الآب الأزلية والربوية واللاهوتية والعظمة والجلال والقدرة. والابن وروح القدس، مثل ذلك الذي للآب.**»[141]

نحن أمام اعتراف إيمانٍ يستخدم مصطلحات فلسفية، مثل الجوهر، الخواص، تعريف الألوهة " الإله الذي لا يتألم، ولا يتغير، ولا يتبدل، ولا يموت، ولا تدركه الأبصار، ولا تحوطه الأوهام، الذي

---

[140] انظر: سمير خليل سمير، *أبو قرة. المؤلفات*، ص. 36-40، 47-48.

[141] النص مقتبس من: وفيق نصري، *أبو قرة والمأمون: المجادلة*، ص. 199-201

لا يقدر أحد أن يعرفه ولا يبلغه"[142]، إن هذه المصطلحات الفلسفية مدرجة في نصّ مليء بتعابير إسلامية لوصف الله، وهي أسماؤه الحسنى وبعض شروحها. إنّه مثال آخر كيف أنّ تقليد الآخر وتراثه الإيماني يمكن أن يصبح مشتركًا إذا لم يكن مناقضًا للإيمان الشخصي. فما يمنع المسيحي من استخدام تعابير إسلامية، كالأسماء الحسنى لله عز وجل، وما يمنع المسلم من أن يستخدم هو أيضًا تراثًا مسيحيًا لا يناقد تعاليمه ومبادئه، كعظة المسيح على الجبل؟

3. إبراهيم الطبرياني وعبد الرحمن الهاشمي

وصلنا الآن إلى العمل الثالث والأخير في مقالنا هذا، إنه حوار جرى في مجلس الأمير عبد الرحمن الهاشمي[143] عندما كان في مدينة القدس، حوار بين الأمير ومتكلمين مسلمين آخرين من جهة، وراهب من طبريا يدعى إبراهيم، ملكيّ (روم اورثوذكس) المذهب. إذا كانت المناظرة حدثت فعلًا فهو أمر قيد البحث والجدال بين المتخصصين.[144] لكن لا شيء في النصّ من محتويات وأسماء مذكورة يمكن أن يمنع تاريخيته.[145] تبقى المعلومات التي بحوزتنا عن الراهب هي فقط تلك المعلومات التي يقدمها

---

[142] انظر بعض التعاريف الفلسفية في:
http://people.wku.edu/jan.garrett/philvws.htm (last seen 04/05/2016).

[143] هو عبد الرحمن، ابن عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابو عبد الرحمن الهاشمي، والي دمشق والجزيرة والمدينة والصوائف أيام الرشيد، انظر:
محب الدين ابي سعيد عمر بن غرامة العمروي، *تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها*، ج. 37، بيروت 1996، ص. 26.

[144] انظر:
D. RIGHI, "The Dialog Attributed to Abraham of Tiberias: New Research of his Historical Environment" in *Pd'O* 34 (2009), pp. 35-49; M. SWANSON, "The Disputation of the monk Ibrāhīm al-Ṭabarānī" in D. THOMAS – B. ROGGEMA, eds., *Christian-Muslim Relations: A Bibliographical History*, vol. 1 *(600-900)* (The History of Christian-Muslim Relations 11), Leiden-Boston 2009, pp. 876-881.

[145] بالإضافة للمراجع اعلاه انظر ايضًا:
G-B. MARCUZZO, ed., *Le Dialogue d'Abraham de Tibériade avec 'Abd al-Raḥmān al-Hāšimī à Jérusalem vers 820* (Textes et études sur l'orient chrétien 3), Rome 1986, pp. 95-133.

العمل نفسه لنا، والتي سنعرضها بعد قليل. إذا حصل هذا الحوار حقيقةً، فذلك حدث تقريبًا سنة 820 في مدينة أورشليم القدس.[146]

- **وقائع الحادثة كما وردت في النص:**

لنبدأ إذًا بقراءة المعلومات التي يقدمها لنا هذا النصّ عن أبطاله وموضوعه الرئيسيّ:

> «ذكروا أن **عبد الرحمان** ابن عبد الملك ابن صالح الهاشمي **طرقته فكرة في أمر النصارى** وكثرتهم، وعلمهم وفلسفتهم وطبهم وما لديهم من الأدب، وصبرهم على الذل، وكيف ضلوا وطغوا وأقاموا **على الكفر**، إذ يقولون إن الله ثلاثة أقانيم وإن المسيح ابن الله.»[147]

كما ذكرنا فأحداث المجادلة تدور في قصر عبد الرحمن الهاشمي الذي أراد أن يناظر نصرانيًّا ليثبت أن دين النصارى كفرٌ. إنّ المعلومات في مقدمة النصّ في غاية الأهمية، فنرى أنّ فكرة اعتبار إيمان النصارى كفر كانت سائدة، إنهم ليسوا فقط مشركين بل كفار[148]. اهتمام الخلفاء والأمراء والوالين وأصحاب السلطة بالمجالس، المناقشات والمجادلات هو لميزة هامة لعصر مجادلتنا هذه، كما لعصر أبي قرة.[149] إنّ هذا يدل على المستوى العلمي والفكري لأصحاب الفكر، الذين اهتموا بالفلسفة والعلم، نشأوا عليها وأشرفوا على إنمائها،[150] وهو عكس ما يحدث يومنا هذا، للأسف، في معظم

---

[146] انظر المراجع المذكورة أعلاه.

[147] النص مقتبس من: .263G-B. MARCUZZO, ed., *Le Dialogue d'Abraham*, p.

[148] إن هكذا رأي يعتمد على سورة المائدة آية 72.

[149] انظر:

P. LA SPISA, "I. L'Epoca di Elia di Nisibi", in *Kitāb daf' al-hamm*, Il *Libro per scacciare la preoccupazione*, *I-II vol.* (Patrimonio Cultrurale Arabo Cristiano 9-10), Arabic test edited by S. Kh. SAMIR, Italian translation by A. PAGNINI, Torino 2007, pp. 73-94, here pp. 93-94

[150] انظر: سمير خليل سمير، *دور المسيحيين*، جزء 1، ص. 24-42.

أنحاء العالم العربي والإسلامي. المعلومة الثالثة في النص أعلاه هي دور النصارى في الطب والفلسفة وغيره من العلوم خلال الفتح الاسلامي[151].

هكذا يصف النصّ ظهور الراهب إبراهيم الطبرياني:

> «فلما رأى الأمير ذلك منهم، تطلع من مجلسه إلى الطريق. فأبصر راهبًا، فقال له: "يا راهب، من أين"؟. فقال: "من طبرية الشام". فدعا به ... »[152]

> «أجابه الراهب وقال: "**أنا عبد الله من آل آدم من أهل قحطان، من طبرية الشام** ومأواي الأكواخ، معدن العلم والأخبار. وإني لضعيف العمل. **أقبلت داعيًا إلى الله، حاجًا إلى بيته المقدس**، أرجو المغفرة والثواب. وأنا الساعة في قصر منيف ومجلس نظيف، أمام ملك شريف، كالقمر المنير، فحياه الله من أمير، وقربه من السرور، وأبعده من الشرور".»[153]

إنّ الراهب ينتمي، كما يقول هو بنفسه، إلى قبيلة قحطان،[154] وهي قبيلة عربية لها عدة فروع، وعلى ما يبدو أن بني غسان كانوا إحدى فروعها، وهم كانوا قبيلة عربية مسيحية تسكن في الجزيرة العربية الصغرى.[155] كان هذا الراهب قادمًا من طبرية الشام ليحجّ في بيت المقدس. ومعروف أنّ فلسطين والاردن ولبنان وسوريا دُعيت من قبل الرومان "سوريا الكبرى"،[156] ومن ثم دُعيت باسم "الشام" التي كانت ولاية من ولايات الدولة الإسلامية في فترة المجادلة[157]. خلال ممارسته طقوس الحجّ رآه الأمير وطلب حضوره لمجلسه ليشترك بالمناظرة.

---

[151] يكفي قراءة: لويس شيخو، *علماء النصرانية في الاسلام 622-1300* (التراث العربي المسيحي 5)، تحقيق كميل حشيمة، بيروت 2009.

[152] النص مقتبس من: G-B. MARCUZZO, ed., *Le Dialogue d'Abraham*, p. 271.

[153] النص مقتبس من: G-B. MARCUZZO, ed., *Le Dialogue d'Abraham*, p. 275.

[154] لمعلومات إضافية، انظر:
A. FISCHER – A. K. IRVINE, "Ḳaḥṭān" in *Encyclopedia of Islam*, vol. 4, pp. 447-449.

[155] انظر: G-B. MARCUZZO, ed., *Le Dialogue d'Abraham*, pp. 109-110.

[156] انظر: G-B. MARCUZZO, ed., *Le Dialogue d'Abraham*, pp. 107-108.

[157] انظر: C.E. BOSWORTH – H. LAMMENS – J. LENTIN, , "al-Shām" in *Encyclopedia of Islam*, vol. 9, pp. 261-281.

- **شروط الحوار العادل**

إنّ أول مطلب للراهب، يخبرنا نصّ المحاورة، كان الحصول على الأمان، فما كان من الأمير إلا أن يعطيه الأمان على نفسه ويسمح له التعبير عن إيمانه بحرية، مؤكدًا ذلك عدة مرات.[158] حسب اعتقادي، إنّ التشديد على مطلب الأمان من جهة يري انفتاح الأمراء وأصحاب السلطان على غير المسلمين وحمايتهم وضمان سلامتهم بالرغم من أنهم لا يقرّون بالإسلام دينًا، ومن جهة أخرى إنّه يعبّر عن خوف المسيحيين من تهجمات عنيفة ضدهم، وهذا ما نجده في الكثير من صفحات التاريخ[159].

لم يكن طلب الأمان كافيًا بل إنّ الراهب يوضّح، قبل البدء بالإجابة على أسئلة الأمير، عن أنواع أهل الكلام فيقول:

> «ولكن، **من أهل الكلام** من لا ينبغي أن يُجاوبوا. أولئك الأخيار، أهل العقل والفهم والحلم والتقوى. فأولئك لا يجاوبون، بل يستمع منهم القول ويقبل منهم. **ومن أهل الكلام** من ينبغي أن يُجاوبوا، ويناظروا أشدّ مناظرة. أولئك، أهل العقل والفضل والاحتمال والعدل والإنصاف. **ومن أهل الكلام** من ينبغي أن يُهابوا ولا يُجاوبوا، إكرامًا لهم وإجلالًا واتقاء منهم. أولئك، أهل الملك والسلطة والعز، وأهل العجلةِ والضجر وقلة الصبر والاحتمال. **ومن أهل الكلام** من لا ينبغي أن يُجاوبوا أصلًا، بل يُحقرون ويُرذلون. **أولئك، أهل الضلالة والكُفر والعمى، والجهالة والغِش والخَنى، وأهل المعصية واللعنة. والأمير، أعزه الله، قد برئ من الخصلة الرابعة**. فاختر لنفسك من أي أهل الثلاث خصال تحب أن تكون، فأجيبك على قدر ذلك.»[160]

جمال نصنا هذا يكمن في نقطتين: الأولى، هي توضيح الراهب أنه ليس باستطاعة كلّ شخص النقاش والحوار والمجادلة، فهناك من يجب الاستماع لهم، هناك من وجب نقاشه ومحاورته، وهناك من كان من الأفضل عدم محاورته لعدم قبوله الرأي الآخر الخ. إذًا، حسب رأيي، قصد الراهب هنا هو توضيح أنّ من أساسات المجادلة أن يشترك بها من كان حكيمًا وفهيمًا، ومن يستطيع الإصغاء،

---

[158] انظر: G-B. MARCUZZO, ed., *Le Dialogue d'Abraham*, pp. 281, 301, 305.307, 317.

[159] فقط لنعطِ مثالًا لمرجعٍ واحدٍ:
J. M. FIEY, *Chrétiens Syriaques sous les Abbassides. Surtout à Bagdad (749-1258).*

[160] النص مقتبس من: G-B. MARCUZZO, ed., *Le Dialogue d'Abraham*, pp. 295-297.

ومن كان صبورًا ذا صدر رحب ليتقبل رأي الآخر المختلف. وهذا أمرٌ مطلوب دائمًا في كلّ حوار وكلّ مجادلة.

النقطة الثانية تكمن في اعتراف الراهب بأنّ الأمير ليس من الفريق الرابع من أهل الكلام، أي أنه ليس من أهل الضلالة والكفر والمعصية، وهذا، من وجهة نظري، اعتراف من قبل الراهب بالإسلام أنه ليس دين كفر أو جهالة، بالرغم من أنه لا يقبله دينًا، فهو قد كرّر للأمير مؤكدًا أنه لن يسلم وسيثبت على دين المسيح، كما يظهر من المجادلة جليًا وواضحًا [161]. في الحوار، كما قلنا، يجب لجميع الأطراف أن يكونوا متساوين، وأن يعترف الواحد بالآخر، حتى لو لم يتفق معه، وهذا مقصد الراهب من تبرئة الأمير من النوع الرابع من أهل الكلام.

- **أفضل الأديان وخير الأمم**

بعد أن تمت طمأنة الراهب بالأمان، وبعد أن تمّ الاعتراف بمساواة المحاورين والاحترام لآرائهم مهما كانت بدأت المحاورة، وهي طويلة. اخترنا أن نسلط الضوء على مثالين اثنين منها، الأول منهما هو التالي:

> «فقال له الأمير: "**فأي الأديان أخير وأفضل، وأية الأمم على الله أكرم**؟" ... قال الراهب:[162] ... "أما ما سألت عن الدين، فإن الدين الفاضل عند الله هو الدين الذي اختاره لعزته، وأفرحَ به ملائكته، ورضيه لعباده، وخصّ به أولياءه وأهل طاعته، وبشرت به أنبياؤه، وختمت عليه رسله، وذخرته في خزائنه الطاهرة أصفياؤه، وقاد إليه الشعوب والأمم بلا سيف ولا قهر ولا مواراة باطلة، وطهر فرائضه من الدنس، وزينه بالمحاسن كلها، وجعله علما وأمانا وهدى ونورًا للعباد في كل البلاد. وأما الأمة الفاضلة هم الذين يدمنون الصيام، ويقيمون الصلاة، ويكثرون الصدقات، ويتلون آيات الحق بالليل والنهار، الباذلون أنفسهم وأموالهم، مع احتمال الضَّيم الشديد وسفك دمائهم في انواع العذاب المختلف حفظًا لسيدهم وحبًّا له.»[163]

---

[161] انظر:

G-B. MARCUZZO, ed., *Le Dialogue d'Abraham*, pp. 299-317, specially pp. 305-307.

[162] النص مقتبس من: G-B. MARCUZZO, ed., *Le Dialogue d'Abraham*, p. 277.

[163] النص مقتبس من: G-B. MARCUZZO, ed., *Le Dialogue d'Abraham*, pp. 283-285.

إنه لواضح من خلال هذا الاقتباس أنّ الأمير يطلب من الراهب أن يخبره عن أخيَر الأديان وأفضل الأمم على الله. الراهب يعطي تعريفًا لأفضل دين مبني على الآيات القرآنية التالية:

"إنّا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون"[164]

"وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدّقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين"[165]

"وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدّقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحقّ لكلّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون"[166]

بينما تعريفه لأفضل أمة فهو يبنيّه حسب ما جاء في الآية:

"ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين"[167]

إذًا، الراهب يبني تعاريفه على آيات قرآنية، دون ذكر واضح إذا كان يقصد المسيحية أم الإسلام. تعاريفه مستوحاة أساسًا من آيات قرآنية لأنّ ذلك مألوف على أذن الأمير والسامعين. لكنه يضعها في نسقٍ مع وصف تاريخي عام، كالتبشير، الاضطهاد والعذاب وغيره. اعتقد الأمير، طبعًا، للوهلة الأولى أنّ الراهب يقصد الإسلام والمسلمين، وهو أمر طبيعيّ. لكن الراهب يؤكد له أنه قصد المسيح والمسيحيين.[168] مما أدى لرفض الأمير لهذا الرأي، مشدّدًا من جهة أنّ التعاريف صادقة وصائبة، لكن آبيًا، من جهة أخرى، أن يوافق على أن الموصوف هي المسيحية والمسيحيون. فيقول الأمير للراهب:

---

[164] سورة المائدة آية 44.

[165] سورة المائدة آية 46.

[166] سورة المائدة آية 47.

[167] سورة آل عمران آيات 113-114.

[168] انظر: G-B. MARCUZZO, ed., *Le Dialogue d'Abraham*, pp. 285-287.

«وما هذه الصفة لكم ولا لدينكم. ولكنها صفة الإسلام، دين الحق الذي قال: "ومن يبتغ غير الإسلام دينًا، فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين". وهي صفة محمد، خاتم النبيين وسيد المرسلين. وهي صفة الأمة المرحومة المحبة لنبيها وأهل بيته، البارة الطاهرة من كل دنس. وقد تعلم ذلك من أمة المؤمنين أن الله أعزه ونصره من الوجوه كلها، وأمن ليله ونهاره. وعهده القرآن الذي أنزله "نورًا وهدى"، وبيّنه لأصحاب الرسول، الذين لا يؤمنون بكذب، المظهرين شهادة أن الله "لا إله إلا هو"، وأن محمدًا عبده ورسوله.»[169]

جمال الحوار في بعض الأوقات هو الموافقة على أمر عام والاختلاف بربطه بالخاص. والأكثر روعة هو الصدق في التعبير عن الرأي وإن كان مخالفًا للآخر، فالأمير وبكلّ صراحة وصدق يؤكّد على صواب الراهب بإعطائه تعاريف "أكرم أمة" و"أفضل دين"، لكنه يخالفه ربطه التعاريف بالمسيحية والمسيحيين، لأنّ هذه التعاريف، حسب رؤيته، ترتبط بالإسلام والمسلمين. الأكيد أنّ موافقة الأمير على صواب التعاريف تكمن في أن الراهب قد بناها على أساس القرآن وتعليمه، بهذه الطريقة نجح إبراهيم الطبرياني أن يجد أرضية مشتركة مع المسلمين.

- **آدم والمسيح**

الأمير دعا العديد من المتكلمين المسلمين للمشاركة بالمجادلة، منهم شخص يُدعى البدوي الباهلي[170]، الذي من ضمن ما سأله كان مسألة اعتبار المسيح من الإسلام مخلوقًا ورفض الاعتراف به إلهًا متجسِّدًا:

«قال الباهلي: "أليس تقول إن **المسيح مخلوق، ابن مخلوقةٍ**"؟ قال الراهب: "أما بجوهر أبيه، فهو الخالق، وأما بجوهر أمه فهو مولودُ من مخلوقة". قال الباهلي: **"فإنه لا يستقيم أن يُسجد لمخلوق**". قال الراهب: "ما تقول في أمةٍ سجدت لمخلوقٍ، وهي أكرم الخلق على الله؟ وإني أنبئك بأمة قالت: " لا تسجد لمخلوق" وهي أشر الخلق عند الله حالًا. قال له الأمير: فإنا لا نعرف هذه الأمة". قال الراهب: "أليس في كتابك إذ قال ربك للملائكة: "**اسجدوا لآدم فسجدوا، إلاّ إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين**"؟ قال

[169] النص مقتبس من: G-B. MARCUZZO, ed., *Le Dialogue d'Abraham*, pp. 291-293.

[170] عنه انظر: G-B. MARCUZZO, ed., *Le Dialogue d'Abraham*, pp. 128-129.

الباهلي: "هذا قول الله حق يقين لا ينكره أحد". قال الراهب: "فأيما ترى، الملائكة هم المشركون، أو ترى إبليس وجنوده مؤمنين؟ أو ترى الله، (جلّ وعزّ!)، محابي الملائكة وظالم الشياطين"؟ قال له الباهلي: "لا، لعمري، ما هو كذلك، بل الملائكة مؤمنون طائعون، والشياطين عصاة كفرة". قال الراهب: "**يا سيدي، اعلم واستيقِن أن الله لم يخلق الخلائق، وسبق بإظهار الآيات والعجائب على يد الأبرار والأخيار في القديم وعلى يد الأنبياء والرسل من بعد، إلا لكرامة مسيحه لكي، إذا ظهر، لا يكون لأحد في اتباعه إنكار وفكر**. وكما قال للملائكة: "اسجدوا لآدم"، فمن سجد له، كان أكرم الخلق عليه، فمن أبى واستكبر، صار أشر الخلق عليه حالًا، كذلك قال في مسيحه للملائكة والبشر: "**هذا ابني الحبيب الذي به سررت، فله اسمعوا واتبعوه ولا تمتَروا**". فلا شك بالذين يسمعون له ويتبعونه أنهم حسنوا الحال عند الله، والخوف والخزي على من أبى واستكبر. والخصلة الأخرى، أنه لا شك في أن المسيح أكرم وأعلى وأشرف من آدم".»[171]

الراهب، ليجيب على سؤال المتكلم، يستخدم كمرجع القرآن الكريم وتعليمه حول خلق الإنسان وسجود الملائكة له، ومن ثمّ، يستعمل الفلسفة المنطقية ليقود الحديث إلى إثبات ألوهية المسيح مستشهدًا في النهاية بآية إنجيلية، ومشددًا على أنّ المسيح نفسه أرفع وأشرف من آدم فيستقيم السجود له أكثر من سجود الملائكة لآدم. لنرى أولا نصوص الآيات المستخدمة من الراهب:

الآيات من النص	الآيات من الكتب المقدسة
"اسجدوا لآدم فسجدوا، إلاّ إبليس أبلا واستكبر وكان من الكافرين"	"وإذ قلنا للملائكة **اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين"**[172]
"هذا ابني الحبيب الذي به سررت، فله اسمعوا واتبعوه ولا تمتَروا"	"وفيما هو يتكلّم إذا سحابة نيرة ظلّلَتهم، وصوت من السحابة قائلاً: **هذا هو ابني الحبيب الَّذي به سررت. له اسمعوا"**[173]

[171] النص مقتبس من: G-B. MARCUZZO, ed., *Le Dialogue d'Abraham*, pp. 441-447.

[172] سورة البقرة آية 34.

[173] انجيل متى الإصحاح 17 الآية 5.

إنذ منطق اللاهوتي حسب رأيي مهم ويستحق التحليل: فكيف أنّ الملائكة سجدت لآدم وهو مخلوق، وهم بالرغم من سجودهم لمخلوق مؤمنون طائعون لله، بينما الشيطان وملائكته رفضوا السجود لآدم المخلوق واستكبروا، وبالرغم من أنهم لم يسجدوا للمخلوق فهم منبوذون.[174] إذًا بهذه الطريقة ثبت الرأي أنه لو أن السجود للمخلوق خطأً، وهو مثبت في القرآن، لكان الله محابٍ للملائكة وظالم للشياطين، والله غير ظالم وغير محاب. أما المسيح، فهو ليس بمخلوق، بل كما يخبر الإنجيل، إنه ابن الله وهو أكرم وأشرف من آدم، فالسجود له ليس سجود مخلوق لمخلوق، بل مخلوق لخالق. إنّ طريقة ربط الآية القرآنية وتعليمها بالآية الإنجيلية وتعليمها لهو في بالغ الأهمية. الراهب يرى أنّ طلب الله من الملائكة للسجود لآدم، تمثيلًا لما سيحدث من سجود للمسيح من المؤمنين به. بكلمات أخرى، إنّ ما حصل مع آدم، حسب الرواية القرآنية، هو تصوير لما حدث للمسيح. إنها الطريقة التي فسرت بها المسيحية العلاقة بين آدم القديم المسيح، الذي اعتبرته، بدءًا ببولس الرسول آدم الجديد.[175] آدم هو رمز، مثال سبقي (prefiguration/typus) للمسيح يسوع.[176] التشبيه بين آدم والمسيح ليس بغريب على القرآن[177]، لكن راهبنا هنا يربط القرآن بالإنجيل، ويكرّر ما فعله سابقوه أي أنه يعترف بوحي في القرآن ضمن قراءة انجيلية له، أي أنه يعتبره نبوة مسحانية يفسرها كما فسرت الكنيسة العهد القديم، على ضوء تجسد المسيح وتحقيق النبوءات به.

استنتاجات ختامية

من خلال مقالي هذا حاولت تسليط الضوء على الحوار المسيحي-الاسلامي من خلال كتابات المسيحيين العرب التابعين، لما أستطيع دعوته وبكل ثقة، مدرسة فلسطين اللاهوتية المسيحية

---

[174] حول قصة سجود الملائكة لآدم واصولها انظر مقالنا الذي سيصدر قريبًا:
B. EBEID, "L'uomo creato ad imagine e somiglianza di Dio secondo la teologia cristiana e musulmana" in *Teologia i Czlowiek* 34 (2016).

[175] انظر مثلًا رسالة بولس الرسول الى أهل كورنثوس الأولى، الاصحاح 15، الآية 22، أو رسالة بولس الرسول الى اهل كولوسي، الاصحاح 3، الآيات 9-10.

[176] عن هذا الموضوع، انظر مثلًا:
R. L. WILKEN, "Exegesis and the History of Theology: Reflections on the Adam-Christ Typology in Cyril of Alexandria" in *Church History* 35 (1966), pp. 139-156.

[177] انظر سورة آل عمران الآية 59.

باللغة العربية وذات العقيدة الملكية. إنّ هذه المدرسة في حوارها مع المسلمين[178] لها ميزات خاصة، نستطيع تلخيصها بالنقاط التالية، المشتركة أيضًا عند كاتبينا الثلاثة: 1- استخدامها للقرآن واقتباسها لآياته. 2- التعبير عن الإيمان المسيحي بلغة تنبع من التراث الاسلامي. 3- دعاء المسيح "كلمة وروح الله"، 4- تعبير إسلامي غريب و غير محبذ لدى المسيحيين، لا بل يعتبر هرطقة من وجهة نظر مسيحية، استخدامه وتفسيره حسب تعليم مسيحي.- تطبيق أسلوب تفسيرات الكتاب المقدس على القرآن. 5- الاعتراف بوحي إلهي بالقرآن شرط أن يعتبر نبوة مسحانية. 6- قراءة القرآن إنجيليّا والتعبير عن التعليم المسيحي قرآنيًا. كلّ هذه الخصلات والميزات ساعدت اللاهوتيين المسيحيين أن يجدوا أرضية يستطيعون من خلالها اللقاء مع المتكلمين المسلمين والحوار والنقاش معهم.

من خلال تحليلنا للعمل الدفاعي الأول، مجادلة أبي قرة و مناظرة إبراهيم الطبرياني استطعنا أن نستنتج كيفية الحوار والشروط المطلوبة ليكون ناجحًا حسب آراء كاتبينا:1- أولًا إعطاء الأمان لجميع المشتركين، حتى ولو كانت آراء أحد الأطراف مخالفة ومعارضة لإيمان الطرف الآخر. 2- الاعتراف بمساواة الجميع بالحوار. 3- الاعتراف بقدسية الكتب لدى مؤمنيها. 4- الانفتاح على الآخر، الاستعداد لسماعه، والمحاولة لدحض حججه لكن باحترام. 5- معرفة جيدة بتعاليم الآخر بتراثه وبمحتويات كتبه المقدسة، 6- استعمال أرضية مشتركة للجميع كالفلسفة والمنطق، والنقاط الإيمانية المشتركة والمتفق عليها بين الاديان المشتركة بالحوار. إنّ هذه المبادئ، المستوحاة من نصوص كتّابنا، لهي أساسات لنجاح أي حوار في أي مجال كان، بالذات الحوار الدينيّ.

نهاية أود التنويه لأهمية الحوار والحاجة إليه. نحن اليوم بأمس الحاجة لحوار صادق، محق، بنّاء، حوار محبة واحترام، حوار معرفة وتفهم للآخر، نستطيع من خلاله بناء جسورًا بين الحضارات والأديان والتيارات الفكرية المختلفة، نستطيع بواسطته بناء صداقات مبينة على الودّ والاحترام والمحبة. إنّ نصوص آبائنا وأجدادنا لهي درس في الأخلاق وفي المبادئ في الحوار، آملًا أن أكون قد نجحت في اظهار ذلك من خلال دراستي التي قدمتها بمقالي هذا.

[178] عن تاريخ الحوار الاسلامي المسيحي في فلسطين، انظر:
G-B. MARCUZZO, ed., *Le Dialogue d'Abraham*, pp. 67-93.

المصادر:

العمل الدفاعي في تثليث الله الواحد:

M. GIBSON, ed., *An Arabic version of the Acts of the Apostles and the seven Catholic Epistles from an eighth or ninth century ms. in the Convent of St Katherine on Mount Sinai, with a treatise On the Triune nature of God with translation, from the same codex*, London, 1899, (English translation) pp. 2-36, (Arabic text) pp. 74-107.

المجادلة بين المأمون وأبي قرة:

وفيق نصري، *أبو قرة والمأمون: المجادلة* (التراث العربي المسيحي 25)، بيروت 2010، صص. 95-254.

المجادلة بين الراهب ابراهيم الطبرياني والأمير عبد الرحمن الهاشمي:

G-B. MARCUZZO, ed., *Le Dialogue d'Abraham de Tibériade avec 'Abd al-Raḥmān al-Hāšimī à Jérusalem vers 820* (Textes et études sur l'orient chrétien 3), Rome 1986, pp. 262-533.

المراجع العربية:

سمير خليل سمير، *أبو قرة. السيرة والمراجع*، بيروت 2000.

سمير خليل سمير، *أبو قرة. المؤلفات*، بيروت 2000.

سمير خليل سمير، *دور المسيحيين الثقافي في العالم العربي*، جزء 1، بيروت 2004.

فادي ضو و نايلا طبّارة، *الرحابة الإلهيّة. لاهوت الآخر في المسيحية والإسلام*، جونية 2011.

لويس ساكو، *الجاثليق طيموتاوس الكبير*، بيروت 2009.

لويس شيخو، *علماء النصرانية في الاسلام 622-1300* (التراث العربي المسيحي 5)، تحقيق كميل حشيمة، بيروت 2009

محب الدين ابي سعيد عمر بن غرامة العمروي، *تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها*، ج. 37، بيروت 1996.

المراجع الأجنبية:

ABRAHAMOV B., ed & tran., *Anthropomorphism & Interpretation of the Qur'ān in the theology of al-Qāsim ibn Ibrāhīm. Kitāb al-Mustarshid*, Leiden-New York- Köln 1996.

ABU MUNSHAR, M., *Islamic Jerusalem and its Christians. A History of Tolerance and Tensions*, London – New York 2007.

ARCHER, G., – CHIRICHIGNO, G., *Old Testament Quotations in the New Testament*, Chicago 1983.

AWAD, N., *Orthodoxy in Arabic Terms. A Study of Theodore Abu Qurrah's Theology in Its Islamic Context*, Boston-Berlin 2015.

BEAUMONT, M., *Christology in Dialogue with Muslims. A Critical Analysis of Christian Presentations of Christ for Muslims from Ninth and Twentieth Centuries*, Milton Keynes - Waynesboro 2005.

BERTAINA, D., "The development of testimony collections in early Christian apologetics with Islam", in D. THOMAS, ed., *The Bible in Arab Christianity*, Leiden 2007, pp. 151-173.

BLAU, J., *A Grammar of Christian Arabic*. *Based mainly on South-Palestinian Texts from the First Millennium Fasc. Introduction-Orthography & Phonetics-Morphology* (CSCO 267 / Subs. 27), Louvain 1966.

BOSWORTH, C.E., – LAMMENS, H., – LENTIN, J., "al-Shām" in *Encyclopedia of Islam*, vol. 9, pp. 261-281.

CULLMANN, O., *The Christology of the New Testament*, Philadelphia 1963.

DÜNYL, F., *A Brief History of the Doctrine of the Trinity in the Early Church*, New York 2007.

EBEID, B., "L'uomo creato ad immagine e somiglianza di Dio secondo la teologia cristiana e musulmana" in *Teologia i Czlowiek* 34 (2016) (forthcoming).

Fiey, J. M., "al-Naṣārā" in *Encyclopedia of Islam*, vol. VII, pp. 970-973.

FIEY, J. M., *Chrétiens Syriaques sous les Abbassides. Surtout à Bagdad (749-1258)* (CSCO 420 / Subs. 59), Louvain 1980.

FISCHER, A., – IRVINE, A. K., "Ḳaḥṭān" in *Encyclopedia of Islam*, vol. 4, pp. 447-449.

GRAHAM, W. A., *Divine Word and Prophetic Word in Early Islam*, Mouton-The Hauge- Paris 1977.

GRIFFITH, S, "The Qur'ān in Arab Christian texts; the development of an apologetic argument. Abū Qurrah in the *mağlis* of al-Ma'mūn", *PdO* 24(1999), pp. 203-233.

GRIFFITH, S., *The Church in the Shadow of the Mosque. Christians and Muslims in the World of Islam*, Princeton – Oxford 2008.

GRIFFITH, S., "The Church of Jerusalem and the 'Melkites': The Making of an 'Arab Orthodox' Christian Identity in the World of Islam (750-1050 CE)" in O. LIMOR – G. G. STROUMSA, eds., *Christians and Christianity in the Holy Land. From the Origins to the Latin Kingdoms*, Turnhout 2006, pp. 173-202.

DE HAAS, J., *History of Palestine. The Last Two Thousand Years*, New York 1934, pp. 122-150.

HADDAD, R., *La Trinité divine chez les théologiens arabes 750-1050* (Beauchesne Religions 15), Paris 1985.

KANNENGIESSER, Ch., *Handbook of Patristic Exegesis*, vol. I: *The Bible in Ancient Christianity*, Leiden – Boston 2004.

KEATING, *S.,* Defending the 'People of Truth' in the Early Islamic Period. The Christian Apologies of *Abū Rā'iṭah (History of Christian-Muslim Relations 4), Leiden-Boston 2006.*

LA SPISA, P., "I. L'Epoca di Elia di Nisibi", in *Kitāb daf' al-hamm,* Il *Libro per scacciare la preoccupazione, I-II vol.* (Patrimonio Cultrurale Arabo Cristiano 9-10), Arabic test edited by S. Kh. SAMIR, Italian translation by A. PAGNINI, Torino 2007, pp. 73-94.

LYONS, J., *The House of Wisdom. How the Arabs Transformed Western Civilization,* New York 2009.

NASRY, W., *The Caliph and the Bishop. A 9th Century Muslim-Christian Debate: Al-Ma'mūn and Abū Qurrah* (Textes et etudes sur l'orient chrétien 5), Beyrouth 2008.

PELLEGRINO, M., *Gli apologeti greci del II secolo. Saggio sui rapporti fra il cristianesimo primitivo e la cultura classica,* Roma 1947.

PENN, M., ed., *When Christians First Met Muslims. A sourcebook of the Earliest Syriac Writings on Islam,* Oakland 2015.

PHAN, P., "Systematic issues in Trinitarian theology" in P. PHAN, ed., *The Cambridge Companion to The Trinity*, Cambridge 2011, pp. 13-29.

PHAN, P., ed., *The Cambridge Companion to the Trinity*, Cambridge 2011.

POLLARD, T., *Johannine Christology and the Early Church,* Cambridge 1970.

REYONDOLS, G. S., *A Muslim Theologian in the Sectarian Milieu. 'Abd al-Jabbār and the Critique of Christian Origins*, Leiden-Boston 2004.

RICKS, Th., *Early Arabic Christian Contributions to Trinitarian Theology. The Development of the Doctrine of the Trinity in an Islamic Milieu*, Minneapolis 2013.

RIGHI, D., "The Dialog Attributed to Abraham of Tiberias: New Research of his Historical Environment" in *Pd'O* 34 (2009), pp. 35-49.

RIZZI, G., ed., *La Centesima Eresia*, introduzione, traduzione e note, Milano 1997.

ROBINSON, N., *Christ in Islam and Christianity*, New York 1991.

ROGGEMA, B., *The Legend of Sergius Baḥīrā. Eastern Christian Apologetics and Apocalyptic in Response to Islam* (HCMR 9), Leiden-Boston 2009.

SAHAS, D., *John of Damascus on Islam. The "Heresy of the Ishmaelites",* Leiden 1972.

SAMIR, S. Kh., "The earliest Arab apology for Christianity (c. 750)" in S. Kh. SAMIR - J. NIELSEN, eds., *Christian Arabic apologetics during the Abbasid period (750-1258)*, Leiden 1994, pp. 57-60.

SCHICK, R., "The Islamic Conquest: the Mid-630s to 640" in *The Christian Communities of Palestine from Byzantine to Islamic Rule. A Historical and Archeological Study* (Studies in Late Antiquity and Early Islam), Princeton 1995, pp. 68-84.

STEINMETZ, D., "John Calvin on Isaiah 6: A Problem in the History of Exegesis" in J. MAYS – P. ACHTEMEIER, eds., *Interpreting the Prophets*, Philadelphia 1987, pp. 86-99.

SWANSON, M., "Beyond prooftexting (2): The use of the Bible in some early Arabic Christian apologies" in D. THOMAS, ed., *The Bible in Arab Christianity*, Leiden 2007, pp. 91-112.

SWANSON, M., "Fī Tathlīth Allāh al-wāḥid" in D. THOMAS and B. ROGGEMA, eds., *Christian-Muslim Relations. A Bibliographical History*, Vol. 1 *(600-900)*, Leiden-Boston 2009, pp. 330-333.

SWANSON, M., "Some considerations for the dating of Fī Tathlīth Allah al-wāḥid (Sinai ar. 154) and al-Ǧāmiʿ wuǧūh al-īmān (London British Library or. 4950)" in *Pd'O* 18(1993), pp. 115-141.

SWANSON, M., "The Disputation of the monk Ibrāhīm al-Ṭabarānī" in D. THOMAS – B. ROGGEMA, ed., *Christian-Muslim Relations: A Bibliographical History*, Vol. 1 *(600-900)* (The History of Christian-Muslim Relations 11), Leiden-Boston 2009, pp. 876-881.

THOMAS, D., - ROGGEMA, B., eds., *Christian-Muslim Relations: A Bibliographical History*, Vol. 1 *(600-900)* (The History of Christian-Muslim Relations 11), Leiden-Boston 2009.

VAJDA, G., "Ahl al-Kitāb" in *Encyclopedia of Islam*, vol. I, pp. 264-266.

WILKEN, R. L., "Exegesis and the History of Theology: Reflections on the Adam-Christ Typology in Cyril of Alexandria" in *Church History* 35 (1966), pp. 139-156.

WOLFSON, H. A., *The Philosophy of the Kalam,* Cambridge-Massachusetts-London 1976.